الفصل الخامس

الواو الزائدة

أولا : موقف العلماء من زيادة الواو.

ثانيا : التراكيب التي قبل بزيادة الواو فيها .

ثالثا : القول بزيادة الواو بسبب المعنى .

obeikandl.com

obeikandl.com

أولا : موقف العلماء من زيادة الواو

اختلفت آراء العلماء في واوات تأتي في جمل لها نظام تركيبي خاص، فقال بعضهم بزيادة الواو فيها، ورفض ذلك آخرون.

وربما نتج هذا الاختلاف من الزاوية التي ينظرون منها لهذه التراكيب، فقد ينظر بعضهم إلى القاعدة النحوية المقررة ويجمد عندها، فتجعله تلك النظرة يقول بزيادة الواو في تركيب يخيل لمن ينظر إليه نظرة عجلة أنها زائدة فعلا.

ولكن آخرون ينظرون إلى المعنى فتتفجر أمامهم معاني هذه الواوات؛ كالتوكيد، وتكثير اللفظ بتكثير المعنى، أو يجدون أنها واو عطف، أو حال... إلى ذلك من المعاني المتعددة لها، وقد كان لقدسية القرآن وإعجازه البياني أثر أيضا في رفض كثير من العلماء لمقولة زيادة الواو.

ولقد أطلق القائلون بزيادة الواو أسماء متعددة لهذه الزيادة، فهي حشو في الكلام[1]، أو مقحمة[2]، أو هي واو السقوط[3]، أو هي واو دخولها كخروجها[4].

وبعض العلماء لم يقل بالزيادة التي هي بلا فائدة، وإنما جعلها زائدة لمعنى، ومن المعروف أن العلماء قالوا بزيادة الحروف عامة، وأن هذه الزيادة قد تكون للفائدة اللفظية، أو لضرب من التأكيد[5].

---

(1) الجمل في النحو للخليل 288.

(2) مجالس ثعلب 1/ 59، الأزهية في علم الحروف للهروي ص 234 تحقيق عبد المعين الملوحي ط 2 القاهرة 1981م.

(3) معاني القرآن للفراء 1/ 238، تفسير الطبري 292/7.

(4) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص 311.

(5) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي 247/1.

قال السيوطي: «والغرض من زيادة هذه الحروف عند سيبويه التأكيد، ومذهب الفراء أن هذه الحروف تعتبر فيها معانيها التي وضعت لها، وإنما كررت تأكيدًا، فهي عنده من التأكيد اللفظي، وعند سيبويه تأكيد للمعنى، ويبطل مذهب الفراء بأنه لا يطرد في كل الحروف، ألا ترى أن (من) في قولك: ما جاءني من أحد. ليست حرف نفي، وقد أكدت النفي وجعلته عاما»[1].

ومن الفوائد اللفظية في زيادة الحروف عامة كون «المعنى بزيادتها أفصح، أو كون الكلمة أو الكلام بسببها مهيئا لاستقامة وزن الشعر، أو حسن السجع، أو غير ذلك من الفوائد اللفظية، ولا يجوز خلوّها من الفوائد اللفظية والمعنوية معًا، وإلا لصارت عبثا، ولا يجوز ذلك في كلام الفصحاء، ولا سيما كلام الباري تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام»[2].

وفي ظني أن حرف الواو يختلف إلى حد ما عن الحروف عامة في هذه الناحية، فهو لا يزاد لحسن السجع، أو استقامة وزن الشعر، وإنما يأتي في تراكيب خاصة له فيها من المعاني ما يفوق موضعه في التراكيب العادية ـ أحيانا ـ كما سنرى.

وللشيخ عبد الرحمن تاج بحث في زيادة الواو، رأى فيه أيضا أن الواو لا تزاد كسائر حروف الزيادة التي قال عنها «لا محل لإنكار البعض لكلمة الزيادة في القرآن؛ لأن الزيادة هنا ليست بالمعنى المتبادر إلى الذهن فور سماع كلمة الزيادة؛ لأنها مزيدة للتأكيد، أو لما هو شبيه بالتأكيد، وأنها ليست مهملة، أو على نية السقوط، ولذا لا يكون وقوعها في القرآن أو في غيره من فصيح الكلام ماسا بقدسية الكتاب العزيز، ولا مخلا بفصاحة الكلام الفصيح، بل إن زيادتها

(1) نفسه 248.

(2) نفسه 249/1.

لا بد أن تكون لنكتة بلاغية تزيد القول البليغ والكلام الفصيح حسنا وقوة.

والذين أنكروا الزيادة خافوا من المعنى العام لكلمة الزيادة، وخافوا من الافتراءات الباطلة، وكان باعث العاطفة الدينية التي جعلتهم لا يحاولون نسب الزيادة للكتاب المقدس»[1].

وقال الشيخ تاج عن زيادة حرف الواو: «إنها لا تكون في حال من الأحوال زائدة في الكتاب العزيز، ولا في شيء من الكلام العربي الفصيح»[2].

وذكر في بحثه عدة آيات قيل بزيادة الواو فيها، وناقش آراء النحاة والمفسرين، ورفض القول بزيادة الواو فيها، وفي أبيات من الشعر، ولكنه لم يبين شيئا من معاني هذه الواو التي رفض زيادتها.

لذا رأيت أنه من الضروري ـ في هذا الفصل ـ تتبع كل التراكيب التي قيل بزيادة الواو فيها، ومناقشة آراء القائلين فيها بزيادتها، ثم البحث عن معاني تلك الواوات مع الالتزام بقواعد النحاة وما أجازوه في الجملة العربية؛ كحذف جواب الشرط، وحذف المعطوف عليه، وحذف خبر كان، فربما تكون هذه المسائل من أسباب قول بعض العلماء الذين لا يوافقون على جوازها بزيادة الواو.

(1) حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم للشيخ عبد الرحمن تاج ص 54 بحث بمجلة مجمع اللغة العربية عدد 30 شوال 13893هـ نوفمبر 1972م.

(2) الواو التي قيل إنها زائدة وليست كذلك «الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج ص 203 بحث مقدم لمجمع اللغة العربية نشر في البحوث والمحاضرات للدورة الرابعة والثلاثين للمجمع القاهرة 1967 ـ 1968م.

obeikandl.com

ثانيا : التراكيب التي قيل بزيادة الواو فيها

أ ـ الواو في أساليب الشرط :

1 ـ مع حتى إذا :

قال تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[2].

وقال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾[3].

وقال الشاعر :

حَتَّى إِذَا قَمِلتْ بُطُونُكُم ورأيتُمُ أبناءَكم شَبُّوا
وقلبتُم ظهرَ المِجَنِّ لنا إنَّ اللئيمَ العاجزُ الخَبُّ[4]

فنظر بعض العلماء إلى أساليب الشرط السابقة ، وأرادوا أن يجعلوا الجواب ظاهرا ، فقالوا بزيادة الواو ، نسب ذلك للمبرد[5]. ونسب أيضا ذلك للأخفش ،

---

(1) سورة الزمر 71.

(2) سورة الأنبياء 96 ـ 97.

(3) سورة آل عمران 152.

(4) ينسبان للأسود بن يعفر : الجني الداني 165والبيتان في معاني القرآن للفراء 107/1 تفسير الطبري 119/4 ط الحلبي ، لسان العرب (و).

(5) انظر معاني الحروف للرماني 62.

ولكن النص الذي نراه الآن أمامنا في معاني القرآن له ليس فيه الجزم القاطع بأنه يرى زيادة الواو في مثل هذه الأساليب يقول : « أما في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [1]. فيقال : إن قوله : ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ في معنى : (قال لهم) . كأنه يلقي الواو ، وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو فيه زائدة »[2].

وقال : وقد فسر الحسن (البصري) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ . على حذف الواو . وقال : معناها : « قال لهم خزنتها ، فالواو في هذه زائدة »[3].

فهو كما نرى لم يجزم جزما قاطعا بزيادة الواو ، كما جزم غيره حين قال صراحة : إن الواو قد تأتي حشوا[4].

فهو يقول بأنها : (تشبه أن تكون زائدة) . أو يقول : (كأنه يلقي الواو) . أو يذكر قولا لغيره قائلا بزيادتها.

أما الفراء : فيسميها واو السقوط ، ويرى أنها تأتي مع (حتى إذا) ، و(فلما أن)[5].

وذكر ابن جرير الطبري الآيات الثلاثة السابقة وقال : « الواو هنا معناها السقوط »[6].

وذكر ثعلب في مجالسه قوله الشاعر :

---

(1) سورة الزمر 71.

(2) معاني القرآن للأخفش 673/2.

(3) نفسه 306/1.

(4) الجمل في النحو للخليل 288.

(5) معاني القرآن للفراء 238/1.

(6) تفسير الطبري 292/7.

حَتَّى إِذَا قَمِلتْ بُطُونُكُم ورأيتُمُ أبناءَكم شَبُّوا
وقلبتُم ظهرَ المِجَنِّ لنا إنَّ اللئيمَ العاجزُ الخَبُّ[1]

ورأى أن الواو في (قلبتم) مقحمة[2].

كما تعرض ابن قتيبة للآيات السابقة وقال: «واو النسق تزاد (في الكلام) حين يكون الكلام كأنه لا جواب له»[3].

فهو كالأخفش لم يجزم بزيادة الواو جزما قاطعا.

وابن خالويه الذي نسب إليه أنه قال عن الواو في: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[4]: إنها واو الثمانية لم يخرجها عن العطف، وعندما ذكر زيادتها نسب هذا القول لغيره، قال: هذه الواو تسمى واو الثمانية؛ لأن العرب لا تعطف الثمانية إلا بالواو[5].

وقال: «قال قوم هي زائدة فدخولها وخروجها واحد كما يزاد غيرها من الحروف»[6].

وابن الأنباري لم يخرجها عن العطف ـ أيضا ـ فهو يقول: هل تقع واو العطف زائدة؟ ثم يذكر رأى الكوفيين القائل بزيادتها، ورأى البصريين الرافضين زيادة الواو والقائلين بحذف الجواب في مثل هذه التراكيب[7].

أما المصنفون في حروف المعاني فهم كثيرا ما يسردون الآراء القائلة بزيادتها

(1) سبق تخريج البيتين ص 217.
(2) مجالس ثعلب 59/1.
(3) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 252.
(4) سورة الزمر 71.
(5) انظر البرهان 189/3.
(6) الحجة في القراءات السبعة لابن خالويه 211.
(7) الإنصاف 456/2.

وآراء الرافضين؛ فالرماني : يذكر اختلاف العلماء في : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [1]. دون أن يرجح رأيا معينا[2].

والزجاجي لم يذكر هذا القسم من الواو في حروفه[3].

وجعلها المرادي ضمن أقسام الواو، وذكر تحتها رأى الأخفش والكوفيين القائلين بزيادتها ورأى البصريين القائلين بعدم زيادتها، وعَدِّهم المعنى في مثل هذه التراكيب على حذف الجواب[4].

أما الهروي فقد قسم الواو في مثل هذه الأساليب إلى قسمين :

- قسم : الواو فيه زائدة وهي مقحمة.

- وقسم آخر الواو فيه زائدة لمعنى يقول : وتكون مقحمة، أي زائدة في الكلام، لو لم تجئ بها لكان الكلام تامًّا[5].

ثم يذكر آيات منها قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [6]. ثم يقول : « واعلم أن الواو لا تقحم إلا مع (لما) و(حتى إذا) ولا تقحم مع غيرها إلا في الشاذ » [7]. ويفسر المقحم بأنه ما يكون مذكورا على نية السقوط[8].

أما التي رآها زائدة لمعنى - يقصد به التوكيد - كالواو في (خبر كان)، والواو بعد (إلا) وسيناقَش كل ذلك في نهاية هذا الفصل.

---

(1) سورة الزمر 71.

(2) معاني الحروف للرماني 61.

(3) معاني الحروف للزجاجي 36.

(4) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 166.

(5) الأزهية في علم الحروف للهروي 236.

(6) سورة الزمر 71.

(7) الأزهية 236.

(8) نفسه 236.

obeikandl.com

وأما ابن هشام فأظن أنه يؤيد زيادة الواو في غيرها هذا الأسلوب، فقد جعل ضمن أقسام الواو القسم الثامن: واو دخولها، وهي الزائدة[1]، وذكر رأي القائلين بزيادتها والرافضين، وختم كلامه بقوله: والزيادة ظاهرة في قول الشاعر:

فَمَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لأَجْبُرَ عَظْمَهُ حِفَاظًا ويَنْوِي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي[2].

وقول الشاعر:

وَلَقَدْ رَمَقْتُكَ فِي الْمَجَالِسِ كُلِّهَا فَإِذَا وَأَنْتَ تُعِينُ مَنْ يَبْغِينِي[3]

أما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[4]. فقد ذكرها مع القسم التاسع (واو الثمانية)، وذكر أقوال العلماء حولها، ثم رفض كونها دليلا على واو الثمانية بقوله: «وأقول لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن الآية منها»[5].

أما الرافضون لزيادة الواو في هذا الأسلوب، فهم يرون أن هذه التراكيب محذوفة الجواب، وهم يرجعونها إما للعطف أو للحال.

معني العطف:

فالزجاج رأى أن في هذا الأسلوب نوع من إضمار الجملة، وأن المعنى (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها كذا وكذا صدقوا وعدهم

(1) مغني اللبيب 362/2.

(2) ينسب لابن الرؤية الثقفي أو وعلة بن الحارث أو الأجرد الثقفي أو عامر بن المجنون أو كنانة بن عبد يا ليل انظر معجم شواهد العربية 1/ 173، وانظر مغني اللبيب 362/2.

(3) معجم شواهد العربية 411/1 ولم ينسبه، مغني اللبيب 362/2.

(4) سورة الزمر 71.

(5) مغني اللبيب 362/2.

وطابت نفوسهم)[1].

ورأى ابن جني ذلك ـ أيضًا ـ قال : يدعي الكوفيون زيادة واو العطف ، نحو قول الله عز وجل : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [2]. قالوا : الواو هنا زائدة مخرجة عن العطف ، والتقدير عندهم فيها : (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) وزيادة الواو أمر لا يثبته البصريون ، لكنه عندنا على حذف الجواب ، أي : (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها كذا وكذا صدقوا وعدهم وطابت نفوسهم)[3].

ويؤكد ابن يعيش على أن الأجوبة في مثل هذه التراكيب محذوفة لمكان العلم بها والمراد[4].

وبتأمل هذه التراكيب يمكن ملاحظة أن المعنى المراد من الجزاء موجود في الشرط لفظا ومعنى ، وهذا يجعل التركيب من هذا الأسلوب يحمل من المعاني ما لا يحمله التركيب العادي ، أي : الذي ذكر فيه الفعل والشرط والجواب ؛ يقول الخطيب الإسكافي : « إن أراد المتكلم إضمار الجزاء واكتفى بدلالة الشرط عليه ، وذلك إذا كان لفظاهما واحدا ـ جاز حذفه وعطف ما بعده ، فيكون المعنى : (حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها) . فيحذف جاءوها الثانية لدلالة الأولى عليها ، وعلى هذا قول امرئ القيس :

فَلَمّا أَجَزنا ساحَةَ الحَيِّ وَانتَحى بِنا بَطنُ خَبتٍ ذي رِكَامٍ عَقَنقَلِ[5]

(1) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 38/1.

(2) سورة الزمر 71.

(3) الخصائص 2/ 462، وانظر : سر صناعة الإعراب 238/2 (ظ) مخطوط.

(4) شرح المفصل 92/8 وما بعدها.

(5) ديوان امرئ القيس 41، موسوعة الشعر العربي 227 مطاع صفدي ـ إيلي حاوي ـ القاهرة 1983 درة التنزيل وغرة التأويل 409 معجم شواهد العربية 1/ 304، وروايته في الديوان قفاف أما زارة التنزيل (ركام) .

معناه : فلما أجزنا ساحة الحي أجزناها وانتحى بنا.

فإن قلت : هل يختلف المعنيان إذا حذفت الواو وإذا أثبتت؟

قلت : يختلفان بأن الفتح يقع عند مجيء أهل النار ؛ لأن قوله : (فتحت) جزاء الشرط ، وحقه إذا كان فعلا ألا يدخله الواو ولا الفاء ، ويكون عقيب الشرط ، وإذا حذف الجزاء وعطف فعل عليه فقيل : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ . فالتقدير : حتى إذا جاءوها وأبوابها مفتحة ، وهذا حكم اللفظ ، فأما حكم المعنى : فإن جهنم لما كانت أشد المحابس من عادة الناس إذا شددوا أمرها ألا يفتحوا أبوابها إلا لداخل وخارج ، وكانت جهنم أهولها أمرا ، وأبلغها أخبر عنها عما شوهد من أحوال الحبوس التي تضيق على محبوسها ، فوقع الفتح عقيب مجيئهم ليتطابق لذلك اللفظ والمعنى ، ولم يكن هناك حذف ، وأما الجنة فلأن من فيها يتشوقون للقاء أهلها ، ومن رسم المنازل إذا بُشِّر مَن فيها بإتيان أربابها إليها ، أن تفتح أبوابها استبشارا بهم وتطلعا إليهم ، ويكون ذلك قبل مجيئهم ، فأخبر عن المؤمنين وحالهم على ما جرت به عادة الدنيا في أمثالهم ، فيكون حذف الجزاء وإدخال الواو على الفعل المعطوف عليه لذلك فاعرفه[1].

2 ـ معنى الحال :

ونلمح معنى الحال من قول الخطيب الإسكافي السابق ، ومن قول أبي علي الفارسي : « إنما تركت الواو في النار ؛ لأنها مغلقة ، وكان مجيئهم شرطا في فتحها ، فقوله : ﴿فُتِحَتۡ﴾ . فيه معنى الشرط ، وأما قوله : ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ . في الجنة ، فهذه واو الحال ، كأنه قال : جاءوها وهي

(1) درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الإسكافي 409 وما بعدها.

مفتحة الأبواب ، أو هذه حالها[1].

وقد مرّ بنا في (فصل واو الحال) تأييد الزركشي لراي أبي علي الفاربي[2].

وقد قسم الزركشي آراء النحويين في هذه الآية بقوله : « وللنحويين في الآية ثلاثة أقوال :

ـ **أحدهما** : أن الواو زائدة ، والجواب قوله : ﴿فُتِحَتْ﴾ . وهؤلاء قسمان : منهم من جعل هذه الواو مع أنها زائدة واو الثمانية ، ومنهم من لم يثبتها.

ـ **والثاني** : أن الجواب محذوف عطف عليه قوله : ﴿وَفُتِحَتْ﴾ . كأنه قال : حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت . قال الزجاج وغيره : وفي هذا حذف المعطوف وإبقاء المعطوف عليه.

ـ **والثالث** : أن الجواب محذوف في آخر الكلام ، كأنه قال بعد الفراغ : استقروا ، أو خلدوا ، أو استووا مما يقتضيه المقام ، وليس فيه حذف معطوف ، ويحتمل أن يكون التقدير ، إذا جاءوها أذن لهم في دخولها ، وفتحت أبوابها . المجيء ليس سببا مباشرا للفتح ، بل الإذن في الدخول هو السبب »[3].

والقول بأن الواو للحال لا يتعارض مع القول بأنها للعطف ، فقد تكون عاطفة لجملة الحال من وجهة نظر القائلين بها بالعطف بمعناه ، وهي في معنى الحال « تعطي معاني الانتظار والاحترام للداخلين الجنة قبل قدومهم إليها »[4].

وكون الواو للحال أو للعطف يعني : أن الجواب محذوف في أي مكان

---

(1) البرهان 189/3.

(2) انظر البرهان 189/3 وما بعدها والفصل الرابع واو الحال ص 207.

(3) البرهان 190/3 وما بعدها.

(4) من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) د . عبد الفتاح لاشين 86.

obeikandl.com

قدر، وهذا قول معظم المفسرين، فهم متفقون على أن جواب الشرط فيها محذوف للعلم به، ودلالة المقام عليه، أو لأنه شيء بلغ من العظم والفخامة مبلغا لا يحيط به الوصف، فلم يُجز أحد منهم أن يكون شيء مما ذكر في هذه الآية هو الجواب؛ لأن ذلك لا يكون إلا على أساس زيادة الواو في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾. أو قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾. لم يُجز ذلك أحد منهم، وإنما حكاه بعضهم عن الكوفيين وبعض النحاة البصريين، ثم عقب عليه بأنه لا معول عليه، أو أن الصحيح خلافه»[1].

وما ذكر في الآية السابقة يمكن أن يقال في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾[2].

قال الفراء: «يقال: إنه مقدم مؤخر معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم، فهذه الواو معناها السقوط»[3].

ولكن جواب إذا محذوف لدلالة المعنى عليه وتقديره: (منعمكم نصره)[4]. ويقال مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[5].

قال الفراء: «دخول الواو في الجواب في ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ بمنزلة قوله:

(1) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة وليست كذلك 214.

(2) سورة آل عمران 152.

(3) معاني القرآن للفراء 238/1.

(4) تفسير الكشاف 410/3.

(5) سورة الأنبياء 96 - 97.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ »[1].

ورأى بعض العلماء أن الجواب في الآية قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ [2]. وأيد ذلك الشيخ عبد الرحمن تاج بقوله: « لا وجه لدعوى أن جواب الشرط هو قوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾. حتى نلجأ إلى جعل الواو فيه زائدة؛ لأن جواب الشرط قد نطقت به الآية عقب ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [3]. فإن إذا الفجائية تقع كثيرا في جواب الشرط منفردة أو مع الفاء، كما هنا فيتعاونان ـ كما يقول النحاة ـ على وصل الجواب بالشرط وتقوية ذلك وتمكينه.

وحاصل معنى الآية على هذا: أنه إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق، وهو وعد الآخرة حيث يجتمع الناس للحساب والجزاء، فإنه يحصل عقيب ذلك وبطريق المفاجأة شخوص أبصار الكافرين من الهلع وشدة الفزع، وقولهم: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾. لاهين عنه غير مصدقين به ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بالإنكار على الرسل الذين كانوا ينذرون به وبعاقبته[4].

وقد ورد في القرآن الكريم هذا الأسلوب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ في اثنين وأربعين موضعا صرح فيها بجواب الشرط. وجاءت الواو مع ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ في ثلاثة منها التي ذكرناها، وجاءت (ثم) مع ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ في آية واحدة، وقيل بزيادتها أيضا[5].

---

(1) معاني القرآن للفراء 211/2.

(2) الإنصاف 269 وما بعدها

(3) سورة الأنبياء 97.

(4) الواو التي قيل إنها زائدة وليست كذلك 207.

(5) دراسات لأسلوب القرآن 1/ 72، 2/ 161، 637/2.

ويمكن لنا بتتبع معاني الآيات السابقة ـ ملاحظة الاستمرارية والتتابع وتوالي الأحداث.

2 ـ الواو في جواب لما :

قال تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾[2].

وقال الشاعر :

فَلَمّا أَجَزنا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى بِنا بَطنُ خَبتٍ ذي قِفَافٍ عَقَنقَلِ[3]

والقائلون بزيادة الواو مع حتى إذا هم ـ تقريبا ـ القائلون بزيادتها في جواب لما.

فالكوفيون والأخفش رأوا زيادة الواو في جوابها، والفراء سماها واو السقوط[4]. ورفض البصريون ذلك ورأوا أنه على حذف جواب لما[5]. واختلفوا في مكان الجواب المحذوف في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[6]. فمنهم من رأى أن الجواب المطوي يقدر عقيب قوله سبحانه : ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ . والمعنى : فلما أسلما وتله للجبين أجزلنا له الأجر وناديناه.

(1) سورة الصافات 103: 104.

(2) سورة يوسف 15.

(3) سبق تخريجه.

(4) معاني القرآن للفراء 238/1.

(5) شرح المفصل 92/8.

(6) سورة الصافات 103 ـ 104.

وعن الخليل وسيبويه تقديره قبله ، والمعنى : فلما أسلما وتله »[1]. حتى القائلون بزيادة الواو اختلفوا في الواو الزائدة ، فبعضهم « جعل الواو في (ناديناه) زائدة ؛ لأن هذا هو جواب لما عندهم ، وبعضهم جعل الواو الزائدة هي واو ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ . لأن هذا في رأيهم هو الجواب »[2].

وحدث مثل ذلك في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3].

فبعض العلماء جعل الواو في ﴿وَأَجْمَعُوٓا۟﴾ . زائدة ، وهي جواب لما عندهم ، وبعضهم جعل الواو الزائدة هي واو ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ لأنه في رأيهم هو الجواب[4].

« وقال بعضهم : إن هذا الوجه هو رأي الفراء ، أي : إن جواب لما هو ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ بعد إسقاط الواو الزائدة ، وأنه جعل ذلك نظير ما قرأ به ابن مسعود آية : ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾[5]. إذ قرأها هكذا : ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ . بزيادة واو[6].

قال أولئك المحققون : إن الفراء في تنظيره لهذه الآية يستند إلى تلك القراءة ، ويرى أن الواو فيها زائدة ؛ إذ إن جواب لما هو : ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ . كما هو في قراءة الجمهور[7].

---

(1) الواو التي قالوا عنها أنها زائدة وليست كذلك 206.

(2) شرح المفصل 92/8.

(3) سورة يوسف 15.

(4) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة وليست كذلك 205.

(5) سورة يوسف 70.

(6) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة 205.

(7) نفسه 206.

والقراءة بالواو حتى ولو لم تكن شاذة كأنها آية أخرى غير التي جاءت بغير واو، كما أنه إذا ساغ التعلق ببعض القراءات الشاذة للاستشهاد بها في أمر لغوي بحت، فلا ينبغي أن يكون ذلك على إطلاقه، بل يجب أن يكون فيما لا يأتي مخالفا لما هو الأصل المعهود في فصيح اللغة، حتى لا يكون الشذوذ طريقا لارتكاب شذوذ آخر؛ فإن تلك القراءة شاذة، وزيادة الواو في الكلام ـ لا شك ـ أنها شاذة ولا أصل لها، وهي مخالفة للأصل المقرر في أحكام هذه الواو.

على أننا إذا سرنا مع هذه القراءة الشاذة التي قرأ بها ابن مسعود، فلا نسلم أن الواو فيها زائدة، بل هي أصلية عاطفة جملة ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ على جملة ﴿جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾. فالشرط حينئذ هو مجموع الجملتين، أما الجواب فهو محذوف كما قال الزمخشري ـ في **الكشاف** لوجود ما يدل عليه، والمعنى: فلما جهزهم بجهازهم، وجعل السقاية في رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا، ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون[1].

وقد ذكر الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة في دراساته تحت عنوان: حذف جواب لما الآيتين السابقتين[2].

ثم ذكر تحت عنوان الواو الزائدة[3] آية الصافات، ومعها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[4].

ويقال فيه مثل ما قيل في الآيات السابقة، فيمكن أن يكون الجواب محذوفا، أو هو قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾.

---

(1) نفسه 206.

(2) دراسات لأسلوب القرآن 2/ 628: 629.

(3) دراسات لاسلوب 532/3.

(4) سورة هود 74.

ولكن في بيت امرئ القيس :

فَلَمَا أَجَزنا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى بِنا بَطنُ خَبتٍ ذي قِفَافٍ عَقَنقَلِ[1]

رأى بعض العلماء أن الواو في قوله (وانتحى) واو نسق ، والجواب في قوله (هصرت)[2] لأنه يروى بعد هذا البيت :

هَصَرتُ بِفَودي رَأسِها فَتَمايَلَت عَلَيَّ هَضيمَ الكَشحِ رَيَّا المُخَلخَلِ[3]

ويمكن لنا أن نلمح في الواو مع (لما) أيضا مع الاستمرارية والتتابع ، أضف إلى ذلك المتابعة التي تُلحظ مع آية الصافات ، يقول الدكتور صابر بكر أبو السعود : « في ظني أن الواو أدت معنى كبيرا في الآية الكريمة ، ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾[4]. وذلك أن الواو تفيد المصاحبة التي كانت مع البلاء ، فالله تعالى يراقب التجربة والحدث »[5].

ويؤيد هذا الملح ما نحس به من تعمق تلك التراكيب ، ففي قوله الشاعر :

حَتَّى إِذَا قَمِلتْ بُطُونُكُم ورأيتُمُ أبناءَكم شَبُّوا
وقلبتُم ظهرَ المِجَنِّ لنا إنَّ اللئيمَ العاجزُ الخَبُّ[6]

بقدر المعنى : حتى إذا امتلأت بطونكم ، وكان كذا وكذا ، تحقق منكم الغدر واستحققتم اللوم ، ونحو ذلك مما يصلح جوابا[7].

وقال مثل ذلك في آية الزمر ، فقد قدروا المعنى : حتى إذا جاءوها وفتحت

(1) سبق تخريجه.

(2) انظر : شرح القصائد السبع للأنباري 56 تحقيق عبد السلام محمد هارون ط 2 مصر 1969.

(3) ديوان امرئ القيس 41، موسوعة الشعر العربي 227، الأزهية 235.

(4) سورة الصافات 103.

(5) نصوص نحوية قديمة د . صابر بكر أبو السعود ص 204 مطبعة دار حراء ـ المنيا 1986.

(6) سبق تخريج البيتين ص 217.

(7) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة وليست كذلك 206.

أبوابها ، وقال لهم خزنتها كذا وكذا صدقموا وعدهم وطابت نفوسهم[1]. وفي آية الصافات نجد أن (لما) تفيد الترقب والتوقع[2]. فاقترب من معنى إذا ، وإذا تفيد الاستمرار والتكرار[3].

ويمكن أن نقول : إن الفاء مع لما ، وحتى مع إذا في (فلما) و(حتى إذا) إلى جانب المعاني التي تضفيها الواو ، تعاونوا جميعا على جعل التركيب كله في مثل هذه الحالات يحكي الواقع ويجعل السامع مشدودا منتبها للأحداث المتوالية والمتتابعة ، أضف إلى ذلك ما تفيده (إذا) وحدها من معاني الاستمرار والتكرار.

3 ـ الواو في جواب إذا :

وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾[5]. قال المبرد في الآية الأولى : « يجوز أن يكون : إذا الأرض مدت . والواو زائدة ، كقولك : حين يقوم زيد حين يأتي عمرو ، وقالوا : (إذا السماء انشقت أذنت لربها وحقت) . وهو أبعد الأقاويل ، أعني : زيادة الواو »[6].

ورغم أن الفراء قال قبل ذلك بواو السقوط ، إلا أنه في هذه الآية يرفض زيادة الواو ، ويقول : « إنه كلام واحد جوابه فيما بعد ، كأنه يقول : فيومئذ يلاقي حسابه ، وقد قال بعض من روى عن قتادة من البصريين : (إذا السماء

(1) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 1/ 378، والخصائص 462/2.
(2) انظر : مغني اللبيب 279/1.
(3) دراسات لأسلوب القرآن 77/1.
(4) سورة الانشقاق 1: 2.
(5) سورة الانفطار 1: 2.
(6) المقتضب للمبرد 80/3.

انشقت أذنت لربها وحقت) . ولست أشتهي ذلك »[1].

وذكر الزجاج فيها أن : « الجواب محذوف ، أي : قامت القيامة ، وقيل : بل الواو في (وأذنت) مقحمة ، والجواب (أذنت) . وقيل : بل الجواب قوله : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾[2]. وقيل : بل الفاء مضمرة ، أي : في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾[3].

وأظن أن توالي الأحداث وتتابعها هو المسوغ الأول لحذف الجواب ، والمقام أيضا يقتضي ذلك ، فهو يوم القيامة المليء بالأحداث المتتابعة ، وتلك علاماتها الواضحة ، فهنا يكون حذف جواب الشرط أبلغ من ذكره[4].

وهذا ما اختاره ابن جني حين قال : « واعلم أن أصحابنا يدفعون هذا التأويل ، ولا يجيزون زيادة هذه الواو ، وإنما هو على حذف الجواب »[5]. كل ذلك أعطى للواو الدلالة على الاستمرارية والتتابع والمتابعة والمصاحبة.

ب ـ الواو في أساليب العطف ودلالة الفعل المضمر :

وفي تراكيب كثيرة وخاصة في القرآن الكريم ـ نجد الواو تأتي في أسلوب عطف وقبلها فعل مضمر ، مما جعل بعض العلماء يجعلها قسما خاصا من أقسام الواو ، فقال : الواو دليل فعل مضمر[6].

ونناقش هنا التراكيب التي من هذا الأسلوب ، والتي قيل بزيادة الواو فيها

(1) معاني القرآن للفراء 338/1.

(2) سورة الانشقاق 7.

(3) سورة الانشقاق 6 وانظر : إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 27/1.

(4) الإنصاف 456/2.

(5) سر صناعة الإعراب لابن جني 239/12 ظ (مخطوط).

(6) انظر : المصنفات في حروف المعاني ص 83.

للكشف عما تعطيه هذه الواو من معان :

1 ـ الواو مع لو الوصلية :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[1].

نظر بعض العلماء إلى ظاهر هذا التركيب ، فقالوا بزيادة الواو قبل (لو) في هذه الآية ؛ قال الفراء : « الواو هاهنا قد يستغنى عنها ، فلو قيل : (ملء الأرض ذهبا لو افتدى به) . كان صوابا »[2].

وقد ناقش الشيخ عبد الرحمن تاج أقوال النحاة والمفسرين حول الواو في هذه الآية ، فذكر رأى الطبري القائل بأن المعنى في : ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ . هو : (لن يقبل من الكافر المال مهما كان كثيرا ، ولو كان ملء الأرض ذهبا ، سواء قدمه رشوة ، أم جزاء ، أم جعله جعلا للعفو عنه ، وعوضا عما أحل الله به من العذاب) . والمعنى في باقي الآية : (ولو افتدى به) . هو أن الواو دلت على جواب لو المحذوف ، وأن لو شرطية صريحة مستقلة وتأويله للكلام : (ولو افتدى به لا يقبل منه أيضا).

ثم أخذ على الطبري أنه جعل جملة : (لو افتدى به) . كالكلام المعاد ؛ لأنه في تفسيره لما قبلها ذكر كل معنى الآية ، ثم أخذ عليه أيضا ما أضافه في نهاية تفسيره للآية حين قال : (ولو لم يكن في الكلام واو لكان الكلام صحيحًا ، ولم يكن هناك متروك وكان : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو افتدى به) . فقد رأى الشيخ عبد الرحمن تاج أن الطبري ليس محقًّا في افتراضه حذف الواو

(1) سورة آل عمران 91.

(2) معاني القرآن للفراء 262/1.

قال : « لأنه افتراض شيء لم ترد به الآية ، ولا يتوقف عليه تفسيرها ، فهو حينئذ شيء يصح الاستغناء عنه ، لا بل هو شيء قد يكون ضرره أكثر من نفعه ، فإن تعقيب الكلام بمثل تلك الإضافة يشعر بالميل إلى هذه القول ما دام معنى الآية ـ كما يقول ابن جرير ـ كان يكون صحيحا لو لم ترد فيها تلك الواو »[1].

ثم ذكر رأي الزمخشري في هذه الآية من أنه كلام محمول على المعنى ، فيكون المراد : فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا ، أو أن يكون المراد : ولو افتدى بمثله ، أو : فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بمثله ، أو : فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا كان قد تصدق به ، ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه[2].

وذكر بعده رأى (أبي السعود) الذي تابع الزمخشري في وجه مراعاة المعنى ووجه تقدير لفظ المثل ، أي : ولو افتدى بمثله ، ولكنه في الوجه الثالث وإن ظُن متابعة أبي السعود للزمخشري ، إلا أنه لم يتابعه ؛ فالزمخشري يجعل الواو عاطفة الجملة الشرطية التامة بشرطها وجوابها المقدر على جملة تامة قبلها ـ وهذا هو رأى الزجاج وابن الأنباري ـ وتقدير الكلام عليه : (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا كان قد تصدق به في الدنيا ، ولو افتدى به في الآخرة أيضا لم يقبل منه).

أما أبو السعود ، فقد سار على المشهور في (لو الوصلية) من أنها لا تحتاج إلى جواب خاص ، تصير به جملة مستقلة ، بل هي معطوفة بالواو مع شرطها وحده على المقابل ، المقدر فيما قبلها ، فيكون الكلام كله جملة واحدة حكم فيها بحكم واحد على مجموع الشرطين المتقابلين ، وهذا الحكم هو المصرح به في

(1) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة وليست كذلك 224، وانظر تفسير الطبري 584/6.
(2) نفسه 221، 223، وانظر تفسير الكشاف 443/1.

الآية، وهو قوله تعالى[1]: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾[2].

ثم ذكر رأي النسفي أن المعنى: (فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا) أو أن: الواو لتأكيد النفي[3]، وأورد نص تفسير الرازي من **التفسير الكبير** حول هذه الآية الذي نقل رأى الزجاج وابن الأنباري في أن الواو فيها للعطف، وأن هذا أوكد في التغليظ؛ لأنه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه، أو أن الواو لبيان التفصيل بعد الإجمال، ذلك لأن قوله: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾[4] يحتمل الوجوه الكثيرة، فنص على نفي القبول بجهة الفدية، ثم وَجْهٌ آخر ذكره الرازي وهو: «أن من غضب على بعض عبيده فإذا أتحفه ذلك العبد بتحفة أو هدية لم يقبلها البتة، إلا أن يقبل منه الفدية، فأما إذا لم يقبل منه فدية أيضًا كان ذلك غاية الغضب، والمبالغة إنما تحصل بتلك المرتبة التي هي الغاية، فحكم ـ تعالى ـ بأنه لا يقبل منهم ملء الأرض ذهبا، ولو كان واقعا على سبيل الفدية؛ تنبيها على أنه لما لم يكن مقبولا بهذا الطريق، فبألا يكون مقبولا منه بسائر الطرق أولى[5].

ثم ذكر رأى النيسابوري والآلوسي حول هذه الآية، وهو مجموع ما قاله الزمخشري في **الكشاف** والفخر الرازي في **التفسير الكبير** سردا دون ترجيح لرأي معين[6].

وقد رفض الشيخ عبد الرحمن تاج قول النسفي بأن الواو زيدت لتأكيد النفي، ورفض رأي الزمخشري في أن يكون في الآية تقديم وتأخير، أي: معنى

(1) سورة آل عمران 91.

(2) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة 221.

(3) نفسه ص 221، 223.

(4) سورة آل عمران 91.

(5) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة ص 222.

(6) نفسه 222.

الآية : (فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا) . لأن في ذلك قلبا للوضع الأصلي للآية ، وأخذ علي الزمخشري القول برأيه في هذه الآية.

ورفض أيضا القول الثالث ، وهو أن الكلام في الآية على تقدير المثل ، أي : (ولو افتدى بمثله معه) . ورأى أنهم قد يكونون قد استوحوه من قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [1]. إذ ليس معنى ورود كلمة المثل ـ في الآية السابقة وغيرها ـ مسوغا لتقديرها في آية آل عمران ، لعدم وجود دليل عليه[2].

وأكد الشيخ عبد الرحمن تاج أن (لو في هذه الآية وصلية لا تحتاج إلى جواب خاص بها « والواو في قوله تعالى : ﴿وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ . عاطفة ما بعدها على شرط مقدر ، هو نقيض ذلك المذكور بعدها ، وأولى منه بالحكم المصرح به ، فيكون تقدير الآية : إن الكفار الذين ماتوا على الكفر لن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ، لو لم يجعله فدية من العذاب ، بل لو جعله فدية أيضا . . .، ومعنى أنه لا يقبل منه ذلك لو لو يجعله فدية : أنه لن يقبل منه لو كان قد تصدق به ، أو قدمه قربة ، أو وجهه في أي وجه من الوجوه غير مريديه الافتداء من العذاب ، فإذا كان لا يقبل منه ملء الأرض ذهبا لو أراد الافتداء به ـ كما صرحت الآية ـ فأولى ألا يقبل منه في غير ذلك من الوجوه ، وهذا هو معنى ما أورده الفخر الرازي أحد احتمالات ثلاثة ، وقال : إنه شيء خطر بباله »[3].

وهذا يختلف عن رأي الزجاج وابن الأنباري من حيث الصناعة الإعرابية ، فهما يجعلان الواو عاطفة لـ (لو) بشرطها المقدر بعدها على ما قبلها.

---

(1) سورة الزمر 47.

(2) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة 226.

(3) نفسه 226.

أما الوجه المختار، فالمعطوف هو لو مع شرطها وحده على المقابل المقدر، فيكون قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦ﴾. معطوفا بالواو على مقدر معلوم هو: لو لم يفتد به[1].

وأتفق مع الأستاذ الشيخ عبد الرحمن تاج في رأيه السابق، ولكني أود توضيح معاني هذه الواو، وأود أن أقول: إن المسألة ليست مسألة البحث عن مكان المحذوف فقط، ولكن من المهم في موضوع بحثنا ـ الكشف عن معاني هذه الواو؛ لأن التركيب لو كان يؤدي معناه المراد منه بدون حذف الجواب، ما كان من الصواب أن يحذف الجواب، ولكن التركيب بصورته الموجود عليها في القرآن هو المراد، وهو المؤدي للمعنى المراد منه تماما دون نقص أو زيادة، والواو في هذا الأسلوب شأنها شأن الواوات التي قيل بزيادتها؛ تعطي فيضا من المعاني أكثر مما تعطيه الواوات في التركيب العادي:

معنى العطف:

من ذلك ما نلحظه من دلالة الاستقصاء الذي تضافرت الواو لأداء هذا المعنى مع لو التي جاءت منبهة على أن ما قبلها جاء على سبيل الاستقصاء، ومع ما بعدها الذي جاء تنصيصا على الحالة التي يظن أنها لا تندرج فيما قبلها، كقوله عليه الصلاة والسلام: «**اعطوا السائل ولو جاء على فرس**»[2]. وقوله: «**ردوا السائل ولو بظلف محرّق**»[3]. كأن هذه الأشياء مما لا ينبغي أن يؤتى بها؛ لأن كون السائل على فرس يشعر بغناه، فلا يناسب أن يعطى، وكذلك

(1) نفسه 228.

(2) موطأ مالك برواية الشيباني باب الصدق 25 ط 2 تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت ـ 1979م.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل 70/4 طبعة بيروت بلا تاريخ.

الظلف المحرق لا غناء فيه، فكان لا يناسب ألا يرد السائل به، وكذلك حالة الفداء يناسب أن يقبل منه ملء الأرض ذهبا لكنه لا يقبل، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [1]. لأنهم نفوا أن يصدقهم على كل حال حتى في حالة صدقهم، وهذه الحالة التي ينبغي أن يصدَّقوا فيها[2].

أضف إلى ذلك ما تفيده الواو ـ هنا ـ من معاني التأكيد وتحصين المعنى؛ قال السهيلي في قول الرسول ـ ﷺ ـ: « **التمس ولو خاتما** » [3]. « في الكلام حذف وإضمار، وهو كقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: « **لأتوهما ولو حبوا** » [4]. فالحذف لجواب لو كأنه قال: ولو أتوهما حبوا لكانوا أحقاء، ولكنه حذف لدلالة الواو عليه؛ لأنها ترد الكلام على أوله كقوله عليه الصلاة والسلام: « **من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنا وإن سرق** » [5]. ولو لم يكن في الكلام الواو لكان الزنى شرطا في دخول الجنة، ولكن الواو حصّنت المعنى، أي: وإن زنا وإن سرق لم يمنعه ذلك من الدخول، كما تقول: لأكرمنك وإن شتمتني، وإنما هو عطف على الجملة المتقدمة، كأنه قال: لأكرمنك على كل حال، وإن شتمتني أيضا، لئلا يتوهم أن الكلام ليس على العموم، وأن حالة الشتم مخصوصة وحالة الزنى كذلك والسرق، فجاءوا بواو التشريك والنسق ليدخلوا هذه الحالة نصا في العموم المتقدم حتى لا يتوهم استثناؤه، وكذلك: « **لأتوهما ولو حبوا** » [6]. أي: ولو حَبَوْا حَبْوًا لأتوا أيضا، فامتنع توهم الاستثناء

(1) سورة يوسف 17.

(2) تفسير البحر لأبي حيان 2/ 520: 521 وانظر دراسات لأسلوب القرآن 2/668.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 10/323 دار المعرفة بيروت بلا تاريخ ولفظه: اذهب فالتمس ولو خاتما من حديد.

(4) نفسه 2/140.

(5) صحيح البخاري 2/89 طبعة دار الشعب د. ت.

(6) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 2/140.

لهذه الحالة بمجيء الواو المشركة لما بعدها فيما قبلها، وكذلك قوله: «**التمس ولو خاتما**»[1]. فإنه أمره بالالتماس أمرًا مطلقا، فلما خشي أن يتوهم خروج خاتم الحديد لحقارته من الملتمسات أكد دخوله فيها بالواو المدخلة ما بعدها فيما قبلها بنصبه بإضمار فعل دل عليه ما تقدم»[2].

ـ معنى الحال:

وهو من معنى هذه الواو أيضا إلى جانب العطف، فقد أظهر واستقصى كل الحالات، وبيَّن أن حال ما بعد الواو حال آخر من تلك الأحوال المضمر تقبلها، ولا يتوهم استثناؤه.

وهذه الحال معطوفة بالواو والمعطوف على الحال حال، كما أن «واو الحال إذا دخلت على الشرط لم يحتج إلى جواب، نحو: أحسن إلى زيد وإن كفرك، واشكره وإن أساء إليك. أي: أحسن إليه كافرا لك، واشكره مسيئا لك»[3].

وذلك لأن الحال فضلة، وأمثل وضع الفضلة أن تكون مفردا كالظرف والمصدر والمفعول به، فلما كان كذلك لم «يجب الشرط إذا وقع موقع الحال؛ لأنه لو أجيب لصار جملة، والحال إنما هي فضلة، فالمفرد أولى بها من الجملة والشرط، وإن كان جملة فإنه يجري عندهم مجرى الآحاد من حيث كان محتاجا إلى جوابه احتياج المبتدأ إلى الخبر»[4].

والمعنى في الآية لا يتغير بتوجيه الواو على الحال أو العطف، فهي عاطفة

(1) نفسه 323/10.

(2) أمالي السهيلي 97 وما بعدها.

(3) البرهان 367/2.

(4) نفسه 367/2.

لجملة الحال التي بعدها ، والمعطوف على الحال حال ، كما قلنا.

وفي القرآن الكريم ذكر الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة تحت عنوان :

(لو بمعنى إذا الشرطية) إحدى وثلاثين آية جاءت كلها بالواو قبل (لو) ما عدا آيتين[1].

الآية الأولى منهما : ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾[2].

يمكن أن يكون جواب لو فيهما غير محذوف ، وإنما هو قوله : ﴿خَافُوا۟﴾ [3].

والآية الثانية : قوله تعالى : ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [4].

يمكن تقدير (لو) فيها بمعنى أن الناصبة للفعل[5]. ورغم تشابه الآيات في شكلها التركيبي لم يقل أحد بزيادة الواو فيها ، إلا في آية آل عمران التي تحدثنا عنها ، وهذا يؤكد ضرورة الواو في هذا الأسلوب.

2 ـ الواو قبل لام التعليل :

قال تعالى : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾[6].

وقال جل شأنه : ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[7].

---

(1) دراسات لأسلوب القرآن 2/ 667: 673.

(2) سورة النساء 9.

(3) دراسات لأسلوب القرآن 2/668.

(4) سورة النساء 139.

(5) دراسات لأسلوب القرآن 2/669.

(6) سورة إبراهيم 52.

(7) سورة مريم 21.

وقال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[1].

وذكر الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة خمسا وعشرين آية من هذا الأسلوب[2]. والقول بزيادة الواو في هذا الأسلوب رآه الزجاج في أحد توجيهاته الإعرابية قال في قوله تعالى: «﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾. التقدير: قال كذلك قال ربك، ويكون علي هين لأخلقه من غير أب، ولنجعله آية للناس، وقيل: هو معطوف على قوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾[3]. وقيل: الواو في الآي كلها مقحمة»[4].

وقال في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾[5].

قيل: الواو مقحمة، وقيل التقدير: هذا لإبلاغ الناس ولينذروا به»[6]. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[7]. قال الزمخشري: «أي: فعلت ذلك، أو: عطف على محذوف تقديره لتعطف عليك وترأم ونحوه. وقيل: الواو زائدة»[8].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾[9]. قال الفراء: إنما دخلت فيه الواو لنية فعل بعدها مضمر، كأنه قال: ولنجعلك آية فعلنا ذلك، وهو كثير في القرآن[10].

---

(1) سورة طه 39.

(2) دراسات لأسلوب القرآن 2/ 488: 493.

(3) سورة مريم 69.

(4) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 24/1.

(5) سورة إبراهيم 52.

(6) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج 38/1.

(7) سورة طه 39.

(8) تفسير الكشاف 536/2.

(9) سورة البقرة 259.

(10) معاني القرآن للفراء 173/1.

وقال ابن جرير الطبري في قوله تعالى : ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ [1]: « اختلف أهل العربية في الواو، فقال بعضهم: هي عاطفة على ما قبلها، كأنه قيل: ويريد لتكملوا العدة ولتكبروا الله »[2].

ثم ذكر رأي الكوفيين في أنه لو ألقيت لام كي كان صوابا، ثم قال: والعرب تدخلها (الواو) في كلامها على إضمار فعل بعدها، ولا تكون شرطا للفعل الذي قبلها وفيها الواو، ألا ترى أنك تقول: جئتك لتحسن إلي، ولا تقول: جئتك ولتحسن إلي، فإذا قلته فأنت تريد ولتحسن جئتك »[3].

وفصّل الزركشي : حيث دخلت واو العطف على لام التعليل ففيه وجهان :

أحدهما : أن يكون تعليلا معللة محذوف، كقوله تعالى : ﴿وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [4]. فالمعنى : وللإحسان إلى المؤمنين فعل ذلك.

والثاني : أن يكون معطوفا على علة أخرى مضمرة ليظهر صحة العطف، كقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ﴾ [5]. التقدير : ليستدل بها المكلف على قدرته تعالى ولتجزى.

وكقوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ [6]. التقدير : ليتصرف بها ولنعلمه، والفرق بين الوجهين أنه في الأول عطف جملة على جملة، وفي الثاني عطف مفرد على مفرد، وقد يحتملها الكلام، كقوله تعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [7].

---

(1) سورة البقرة 185.
(2) تفسير الطبري 477/3.
(3) نفسه 477/3.
(4) سورة الأنفال 18،
(5) سورة الجاثية 22.
(6) سورة يوسف 21.
(7) نفسه 222.

فالتقدير : على الأول : ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك . وعلى الثاني : ولنبين للناس قدرتنا ولنجعله آية »[1].

مما سبق يمكن لنا تحديد التوجيهات الإعرابية التي رأوها في هذا الأسلوب لكي نكشف عن المعاني المتعددة في هذه الواو :

أول هذه الوجوه : العطف على مقدر : فالواو قد تدل على فعل مضمر قبلها : (فعلنا ذلك ولنجعله آية للناس).

والثاني : تقدير الفعل بعدها ، أي : إن ما بعدها تعليل محذوف (ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك).

أما الوجه الثالث : وهو لا يسير مع المعنى ، ولا يتفق مع القواعد التركيبية للجملة العربية ، وهو القول بزيادة الواو.

وقد أطلق بعض الباحثين على هذه الواو في هذا الأسلوب : « الواو الفصيحة تشبيها لها بالفاء الفصيحة التي تكون جوابا لشرط مقدر مع الأداة »[2].

وهذه الواو لم تدخل إلا على أفعال مضارعة ، وذلك لارتباطها في هذا التركيب بلام كي التي تدخل على الفعل المضارع ، وهي في التوجيهين الأولين سواء عطف الجملة على الجملة أو عطف المفرد على المفرد لها من معاني تكثير المعنى بتقليل اللفظ ما لا يخفى على من يتأمل التراكيب[3].

---

(1) البرهان 93/3.

(2) انظر : دراسات لأسلوب القرآن 245/2.

(3) انظر البرهان 440/4 وما بعدها الفصل الأول واو العطف حذف المعطوف عليه ص 79.

obeikandl.com

3 ـ الواو بعد همزة الاستفهام :

القول بزيادتها :

ذكر الأخفش وجهين لقوله تعالى : ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا﴾[1] قال : « فهذه واو تجعل مع حرف الاستفهام، وهي مثل الفاء، التي في قولك : ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾[2]. فهذا في القرآن والكلام كثير، وهما زائدتان في هذا الوجه.

وهي مثل الفاء التي في قولك : أفأللّه لتصنعن كذا وكذا . وقولك للرجل : أفلا تقوم . وإن شئت جعلت الفاء والواو هاهنا حرفا عطف[3].

وفي قوله تعالى : ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾[4]. قال : فهذه الواو للعطف دخلت عليها ألف الاستفهام[5]، وكما رفضنا الزيادة في الأساليب السابقة نرفضها هنا ؛ لأن الواو التي قيل بزيادتها لا تعطي دلالة العطف والحال فقط، وإنما تنبثق منها معان أخرى كما رأينا مع (لو).

وفي هذا الأسلوب أيضا تردد معنى الواو بين العطف والحال، وهذا ناتج كما سبق أن وضحنا من أنها واو عطف تضم حالا من الأحوال على حال سابقة، أو أحوال سابقة عليها، والمعطوف على الحال حال، فمن أي زاوية نظر إليها فالمعنى واحد.

---

(1) سورة البقرة 100.

(2) سورة البقرة 77.

(3) سورة البقرة 77.

(4) معاني القرآن للأخفش 326/1.

(5) سورة الأعراف 98.

معنى العطف :

قال المبرد : « هذا باب الواو التي تدخل عليها ألف الاستفهام ، وذلك قولك : إذ القائل : رأيت زيدا عند عمرو؟ أو هو ممن يجالسه؟ استفهمت على حد ما كنت تعطف ، كأن قائلا قال : وهو ممن يجالسه ، فقال : أو هذا كذا.

وهذه الألف لتمكنها تدخل على الواو ، وليست كذا سائر حروف الاستفهام ، إنما الواو تدخل عليهن في قولك : وهل هو عندك ، فتكون الواو قبل هل »[1].

فالمبرد رأى ـ كسيبويه ـ أن الألف قدمت على واو العطف لأصالتها[2].

ورأى ذلك الفراء ـ أيضا ـ ففي مثل قوله تعالى : ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾[3]. رأى أن الواو نسق أدخلت عليها ألف الاستفهام ، كما تدخلها على الفاء[4].

وقد فسر الطبري آية البقرة : ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾[5]. بما يكشف عن رأيه في أن الواو فيها للعطف ، قال بعد ذكر وجوه الإعراب فيها : « والصواب في ذلك عندي من القول أنها واو عطف أدخلت عليها ألف الاستفهام ، كأنه قال ـ جل ثناؤه ـ : وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ـ قالوا ـ سمعنا وعصينا ، وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ، ثم أدخل ألف الاستفهام على (وكلما) ، فقال :

---

(1) معاني القرآن للأخفش 527/2.

(2) المقتضب للمبرد 207/3.

(3) انظر : الكتاب 3/ 187: 189 مغني اللبيب 1/ 16، المدارس النحوية 286، دراسات لأسلوب القرآن الكريم 21/ 610، الحروف العاملة في القرآن 450.

(4) سورة الأعراف 63. ـ معاني القرآن للفراء 383/1.

(5) سورة البقرة 100.

قالوا : سمعنا وعصينا ، أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم »[1].

وقال الطبري بعد ذلك : « وقد بينا فيما مضى ـ أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له »[2].

ورأى العكبري أن الواو للعطف والهمزة للاستفهام على معنى الإنكار، والعطف هنا على معنى الكلام المتقدم في قوله : ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾[3] وما بعده[4]. ولكن الزمخشري له في تفسيره لهذه الأساليب توجيهات متعددة ؛ فهو أحيانا يرى أن الجملة المعطوف عليها مقدره بين همزة الاستفهام والواو، والتزم بهذا الرأي في قوله تعالى : ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا﴾ . فالواو فيها للعطف على محذوف معناه : أكفرتم بالآيات البينات ، وكلما عاهدوا[5].

وأحيانا أخرى يرى رأى سيبويه في أن حرف العطف الذي بعد همزة الاستفهام هو عاطف ما بعدها على ما قبل الهمزة[6]. قال بذلك في قوله تعالى : ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾[7]. وأحيانا يذكر الرأي السابق ويجوز معه رأيا آخر وهو أن يكون العطف على جملة محذوفة بين الهمزة وحرف العطف[8].

وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾[9].

---

(1) تفسير الطبري 299/1 وانظر أيضا 1/ 439: 441.

(2) نفسه 399/2.

(3) سورة البقرة 77.

(4) التبيان للعكبري 97/1.

(5) تفسير الكشاف 300/3 وانظر : دراسات لأسلوب القرآن 612/2.

(6) تفسير الكشاف 2/ 98، مغني اللبيب 16/1 دراسات لأسلوب القرآن 611/2.

(7) سورة الأعراف 98.

(8) تفسير الكشاف 1/ 477، دراسات لأسلوب القرآن 611/2.

(9) سورة آل عمران 165.

obeikandl.com

أما ابن هشام فقد أيد مذهب سيبويه والجمهور ورفض رأى الزمخشري وعده تكلفا ؛ لأن فيه حذف جملة بحالها : (أي التي قدرها الزمخشري بين الهمزة والواو) ؛ لأنه غير مضطرد في جميع المواضع ، فهو لا يمكن في نحو : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[1]. ولأن الزمخشري ـ كما سبق ـ : جزم في مواضع بما يقوله الجماعة (أي : سيبويه والجمهور)[2]. وذكر المرادي ما قاله ابن هشام[3].

الواو في التوجيهين للعطف وليست زائدة مطلقا وليس المقصود من تقدير المحذوف إثباته ، وإنما هو أمر لتستقيم به الصناعة الإعرابية ، ولكن الأسلوب قصد بهذه الصورة ولا يؤدي معناه المطلوب منه إلا بها ، ومعاني الواو هنا أغزر وأدق ، فهي تعطي دلالة الاستفهام مع الإنكار ، فإذا قال الرجل : رأيت زيدا فتقولك أو يوصل إليه ، فأنت مسترشد أو منكر ما قال[4].

وتعطي دلالة التعجب والإنكار[5] كما في قوله تعالى على لسان المشركين : ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾[6].

ونلحظ دلالتها على التقرير[7] في قوله تعالى : ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾[8].

ومما يوضح دلالة الواو ومعانيها ـ حتى لا يظن أن الإنكار جاء للتركيب من الهمزة والاستفهام ـ المقارنة بين (ألم) و(أولم) « ففي (أولم) يتوجه الإنكار إلى

(1) سورة الرعد 33.

(2) مغني اللبيب 1/ 16، وانظر : دراسات لأسلوب القرآن 2/ 611: 612.

(3) انظر الجني الداني في حروف المعاني 31.

(4) المقتضب للمبرد 308/3.

(5) نفسه 308/3.

(6) سورة الصافات 16: 17، سورة الواقعة 47: 48.

(7) المقتضب 308/3.

(8) سورة الأعراف 98.

ما بعد الوو وما قبلها، ولكن في (ألم) الإنكار لما بعدها فقط»[1].

قال الخطيب الإسكافي: «قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾[2]. وقال في الشعراء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[3].

للسائل أن يسأل فيقول: ما بال الألف في الآية الأولى دخلت على (لم) وفي الثانية دخلت على (ولم) فكان بين الألف (ألف الاستفهام) ولم واو عطف ولم يكن بين هذه السورة ما يتصل بين ألم وأولم، وهل صلح ما في الشعراء مكان ما في سورة الأنعام أم لا؟

الجواب أن يقال: إن الألف تدخل على واو العطف في الاستخبار والإنكار والتقريع، على تقدير أن تكون الجملة التي فيها معطوفة على كلام قبلها يقتضيها، وذلك كقولك للقائل يقول: هل رأيت زيد ثمة؟ أو زيد؟ مما يكون ثمة تصوره بصورة من ثبت ذلك عنده، أو قاله فاستفهمته وعطفت على ما توهمت أنه في علمه أو وهمه، وكل موضع فيه بعد ألف الإنكار الواو، ففيه تبكيت على ما يسهل الطريق إلى ما بعد الواو، فالاعتبار لكثرة أمثاله، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[4]. كأن قائلا قال: كذبوا الرسل وغفلوا عن الفكر والتدبر، فقال: فعلوا ذلك ولم ينظروا إلى المشاهدات التي يتنبه الفكر فيها من الغفلة»[5]. «فكل ما فيه واو مثل (أولم

(1) انظر: الواو ومواقعها في النظم القرآني محمد أمين الخضري ص 259 رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر رقم 2937 (قسم البلاغة).

(2) سورة الأنعام 6.

(3) سورة الشعراء 7.

(4) سورة الشعراء 7.

(5) درة التنزيل وغرة التأويل 108 وما بعدها.

يروا) هو تنبيه على ما تقدمه في التقدير أمثال «له منبهة لكثرتها، فالتبكيت فيه أعظم، فهذا كله في المشاهد وما في حكمه.

وما ليس فيه واو مثل (ألم يروا) فهو ما لم يقدر قبله ما يعطف عليه ما بعده؛ لأنه من باب ما لا يكثر مثله، وذلك مما يؤدي إلى علمه الاستدلالات، كقوله في سورة الأنعام: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ (1). إلى قوله: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ (2). وهذا ما لم يشاهدوه ولكن علموه، وكذلك قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (3) هو مما الطريق إلى العلم به الاستدلال ـ لا المشاهدة. فهذا ونحوه مما لم يكثر في معلومهم أشباهه، فهم ينبهون عليه ابتداء من غير تقديم على شيء مثله مما قبله» (4).

فالواو ـ كما رأينا ـ لها مواقع تتعلق بمعنى الآيات، وليست مقحمة أو دخولها كخروجها، بل تضيف معاني كثيرة لا تتأتي للتراكيب بدونها، وتعطي الواو في هذا الأسلوب معاني أخرى إلى جانب معاني العطف التي رأيناها.

معنى الحال:

وذلك إذا جاءت بين همزة الاستفهام و(لو) الوصلية أي: (أولو) كقوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (5). فالواو ـ في هذه الآية ـ وإن كانت عاطفة

(1) سورة الأنعام 6.
(2) سورة الأنعام 6.
(3) سورة يس 31.
(4) درة التنزيل وغرة التأويل 109.
(5) سورة البقرة 170.

لجملة (لو وما بعدها) فإن هذه الجملة المعطوفة هي آخر ما أفادته لو من استقصاء الأحوال ، فهي جملة حال معطوفة على جملة حال محذوفة مما جعل الواو تعطي دلالة الحال ، وقد يكون هذا ما جعل الزمخشري يقول في هذه الآية : « الواو للحال ، والهمزة بمعنى الرد والتعجيب ، معناه : أتتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب »[1].

وقال أبو حيان : « وتجيء (لو) هنا تنبيها على أن ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها ، لكنها جاءت لاستقصاء الأحوال التي يقع فيها الفعل ، ولتدل على أن المراد بذلك وجود الفعل في كل حال حتى في هذه الحال التي لا تناسب الفعل ، ولذلك لا يجوز : اضرب زيدا ولو أساء ، ولا : أعطوا السائل ولو كان محتاجا ، ولا : ردوا السائل ولو بمائة دينار . فإذا تقرر هذا فالواو في الأمثلة التي ذكرناها عاطفة على حال مقدرة ، والجملة المعطوفة على الحال حال ، وصح أن يقال فيها إنها للعطف من حيث ذلك العطف ، والمعنى ـ والله أعلم ـ إنكار اتباع آبائهم في كل حال حتى في الحالة التي لا تناسب أن يتبعوا فيها ، وهي تلبسهم بعدم العقل وعدم الهداية.

ولذلك لا يجوز حذف هذه الواو الداخلة على (لو) إذا كانت تنبيها على أن ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها ، وإن كانت الجملة الواقعة حالا فيها ضمير يعود على ذي الحال ؛ لأن مجيئها عارية من الواو يؤذن بتقيد الجملة السابقة بهذه الحال ، فهو ينافي استخدام الأحوال حتى في هذه الحال ـ فهما معنيان مختلفان . والفرق ظاهر بين أكرم زيدا لو جفاك ، أي : إن جفاك . وبين : أكرم زيدا ولوجفاك[2].

---

(1) تفسير الكشاف 328/1.

(2) تفسير البحر لأبي حيان 480/1 وما بعدها وانظر دراسات لأسلوب القرآن 673/2 وما بعدها.

وورد في القرآن الكريم سبع آيات وقعت فيها الواو بين همزة الاستفهام و (لو) الوصلية[1].

4 ـ صور أخرى للعطف على محذوف :

وكما قال بعض العلماء بزيادة الواو في التراكيب السابقة قالوا أيضا بزيادتها في تراكيب أخرى ـ خاصة ـ ولكن تأمل هذه التراكيب ومعانيها يكشف عن المعاني المتعددة للواو فيها ، وذلك في مثل الواو قبل الفعل المضارع في قول الشاعر :

فَمَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لأَجْبُرَ عَظْمَهُ حِفَاظًا ويَنْوِي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي[2]

وقد استشهد به كثير من أنصار زيادة الواو في التراكيب العربية ، ولكن البصريين ردوا هذا القول ، ورأوا أن الواو في قول الشاعر عاطفة على مقدر يدل عليه المقام ، كأنه قال : فما باله يهمل حقي وينوي كسرى[3]. أو ماطل من أسعى لأجبر عظمه حفاظا ـ ما باله أصنع معه ذلك وينوي[4].

بعد إذا :

وذلك كما في قول الشاعر :

وَلَقَدْ رَمَقْتُكَ فِي الْمَجَالِسِ كُلِّهَا فَإِذَا وَأَنْتَ تُعِينُ مَنْ يَبْغِينِي[5]

وقول أبي كبير الهذلي :

فَإِذا وَذلِكَ لَيسَ إِلاّ حِينَهُ وَإِذا مَضى شَيءٌ كَأَنَّ لَمْ يُفعَلِ[6]

---

(1) دراسات لأسلوب القرآن 2/ 673: 675.

(2) سبق تخريجه.

(3) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة 207.

(4) نفسه 207.

(5) سبق تخريجه.

(6) لأبي كبير الهذلي الجني الداني 165، خزانة الأدب 420/4.

والأمر فيهما كالبيت السابق من قول بعضهم بزيادة الواو بعد إذا ، أي : (فإذا أنت) أو (فإذا ذلك).

ولكن المعنى في البيت الأول هو : « ولقد رمقتك في المجالس كلها ، فإذا أنا كذلك أحنو عليك ، وأنت تعين علي من يبغيني »[1].

وفي البيت الثاني : فإذا الحال نحن فيه ، وذلك الحال الذي كنا فيه من قبل لا بقاء لشيء منه ، ولا أثر له في النفس إلا حين يكون ، فإذا مضى وقته فكأنه لم يكن[2].

في قولهم : (وهو لك).

ومن هذه الصور ـ أيضا ـ ما ورد عن أبي عمرو بن العلاء من القول بزيادة الواو في (وهو لك)[3].

« وهذا الأسلوب شبيه بما نعهده ـ يجري بين الناس في محادثاتهم ومحاوراتهم ـ يبدي الرجل لصاحبه ـ في أمر ما ـ رأيا ، أو يفضي إليه في ذلك برغبة ، فيقول له صاحبه (وهو كذلك) يوافقه على ما رأى ويقره ما رغب ، فالواو في قوله : (وهو كذلك) ليست زائدة ، وإنما هي أصلية عطفت هذه الجملة على معلوم من المقام ، فكأنه يقول له : أنا أقرك على ما أبديت ، والأمر الواقع كما رأيت »[4].

في (ربنا ولك الحمد).

وقالوا بزيادة الواو فيها[5] ـ أيضا ـ ولكن الواو أصلية والمعنى : ندعوك أو

---

(1) الواو التي قالوا إنها زائدة 207.

(2) نفسه 320.

(3) انظر : لسان العرب (وا) 379/20 ط بولاق ، الواو التي قالوا عنها إنها زائدة 229.

(4) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة 230.

(5) انظر : الأزهية للهروي 236.

obeikandl.com

نعبدك ربنا ولك الحمد[1].

كل عام وأنتم بخير.

يُخَطِّئ بعض النقاد قائلها بالواو بناء على أنه لا موضع للواو فيها، والصحيح عندهم أن يقال: كل عام أنتم بخير. ولكن لا محل للقول بزيادة الواو؛ لأن هذا الأسلوب بالواو فيه تكثير للمعنى بتقليل اللفظ، فيمكن لك أن تقدر الأسلوب: كل عام مقبل وأنتم بخير، فيكون ما قبل الواو جملة من مبتدأ وخبر، أي: إن كلمة (كل عام) مبتدأ حذف خبره والواو حالية والجملة بعدها حال.

كما يجوز تقدير فعل قبل كلمة (كل) وتعرب (كل) فاعلا ويكون التقدير يقبل كل عام وأنتم بخير[2].

ـ لا وأيدك الله:

لم يقل أحد ـ فيما أظن ـ بزيادة الواو في هذا الأسلوب، ولكن ظاهر التركيب قد يخيل للبعض أن الواو زائدة، ولكن هذه الواو أتت للوصل الذي هو لدفع الإيهام فقولهم: (لا) رد لكلام سابق، كما إذا قيل: هل الأمر كذلك؟ فيقال: لا. أي ليس الأمر كذلك، فهذه جملة إخبارية، وأيدك الله جملة إنشائية دعائية، فبينهما كمال الانقطاع، فكان ذلك يقتضي الفصل، لكن عطفت الثانية على الأولى؛ لأن ترك العطف يوهم أنه دعاء على المخاطب بعدم التأييد مع أن المقصود الدعاء له بالتأييد، فأينما وقع هذا الكلام فالمعطوف عليه هو مضمون قولهم: لا.

---

(1) الواو التي قالوا عنها إنها زائدة 230.

(2) انظر الألفاظ والأساليب (مجمع اللغة العربية إعداد: محمد شوقي أمين ـ مصطفى حجازي ص 226 الهيئة العامة للنشر ط 1 القاهرة 1977.

وبعضهم لما لم يقف على المعطوف عليه في هذا الكلام نقل عن الثعالبي حكاية مشتملة على قوله : (قلت) ولم يعرف أنه لو كان كذلك لم يدخل الدعاء تحت القول ، وأنه لو لم يحك الحكاية ، فحين ما قال للمخاطب : لا وأيدك الله . فلا بد له من معطوف عليه[1].

فهذه الواو ضرورية لأمن اللبس حتى ولو لم يكن لدينا مبرر من ناحية الشكل التركيبي للجملة ، فقد وصلَنا التراث العربي مكتوبا ففقد بذلك عنصر المقام الاجتماعي ـ ما عدا القرآن الكريم ـ ولذا أصبح لزاما على الكاتب قبل إيراد أي نص أدبي أن يعيد تكوين هذا المقام بوصف الأحداث ، كالذي نلاحظه في خطبة الحجاج مثلا ، ولم يكن لدى العرب نظام للترقيم كالذي نعرفه الآن.

لقد كانت اللغة العربية الفصحى ـ ككل لغات العالم ـ في العقد الأول ـ ربما أهملت أن تذكر الأدوات في الجملة اتكالا على التعليق بالنغمة ، فكان من الممكن مثلا أن نفهم معنى الدعاء من قولهم : (لا وشفاك الله) بدون الواو اتكالا على ما في تنغيم الجملة من وقفة واستئناف ، ومع ذلك لم يكن ثمة مفر لمن دونوا التراث من الاحتفاظ دائما بهذه الأدوات بسبب عدم وجود ذلك الترقيم أو التنغيم في الكتابة ، فكان لا بد من ضمان أمن اللبس في المعنى بواسطة إفراد ذكر الأدوات »[2].

وهذا لا ينسحب على كل التراث العربي ، فالقرآن الكريم منقول لنا ومحتفظ بكل قرائنه ؛ لأن العامل الأول في استظهاره هو الأخذ عن الشيخ القارئ لا المصحف ، أضف إلى ذلك ما به من علامات الوقف والابتداء والوصل . .. إلخ.

---

(1) شرح السعد 17/3.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها 227.

سبحانك اللهم وبحمدك.

اختلف العلماء في القول المأثور: سبحانك اللهم وبحمدك؛ فقيل: هي جملة واحدة على أن الواو زائدة[1].

وقيل: جملتان على أنها عاطفة ومتعلق الباء محذوف، أي: وبحمدك سبحتك.

ويقدر المعنى: أو بمعونتك التي هي نعمة توجب على حمدك سبحتك لا بحولي وقوتي، فيكون مما أقيم فيه المسبب مكان السبب[2].

جـ ـ الواو مع العدد الثامن:

ذهب بعض العلماء إلى أن العرب يعدون السبعة نهاية للعدد عندهم، ويذكرون العدد الثامن بالواو، وحملهم ذلك على القول بنوع أو معنى للواو، وهو (واو الثمانية).

وذكروا آيات قرآنية كشاهد على مذهبهم هذا، وذهب بعضهم إلى أن الواو هذه زائدة في التركيب ونناقش هنا هذه التراكيب لنبين حقيقتين:

أولهما: أن هذه الواو ليست زائدة، وإنما لها من المعاني ما هو أغزر من الواو في الأساليب العادية.

والثانية: أن (واو الثمانية) التي قالوا بها ليست حقيقة ولو كانت حقيقية فإن ما استدلوا به من آيات لا يصلح شاهدا على ما عرفوها به من أنها مع العدد الثامن في العد؛ إذ إن الآيات التي ذكروها ليس فيها نظام العد هذا، وإنما هي لعطف أعداد أو صفات.

---

(1) مغني اللبيب 103/1 وانظر: فن البلاغة د. عبد القادر حسين 245.

(2) مغني اللبيب 103/1.

1 ـ القول بزيادتها :

ذكر بعض العلماء أن الواو في قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [1]. زائدة أي : في ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾ . لتكون كما قبلها (ثالثهم) و (رابعهم) ؛ إذ رأى بعضهم أن الواو فيها زائدة لمعنى[2].

ورأى آخرون أن الواو فيها زائدة بلا فائدة ، فقد نسب للزجاج أن دخول الواو هاهنا لخروجها[3].

2 ـ معنى الاستئناف :

ذكر ابن هشام ضمن أقسام الواو : واو الثمانية . وقال : ذكرها جماعة من الأدباء ؛ كالحريري ، ومن النحويين الضعفاء ، كابن خالويه ، ومن المفسرين كالثعلبي ، وزعموا أن العرب إذا عدوا قالوا : ستة سبعة وثمانية ، إيذانا بأن السبعة عدد تام ، وأن ما بعدها عدد مستأنف ، واستدلوا على ذلك بآيات[4]. وذكر آية الكهف.

ونلاحظ من قول ابن هشام السابق أنه لم يخرج معنى واو الثمانية عن معنى الاستئناف حتى عند القائلين بها ، فهم يرون أن ما بعدها عدد مستأنف.

وعندما يحاول أن يذكر وجوهها الصحيحة نجد أن الاستئناف أحد وجهين

---

(1) سورة الكهف 22.

(2) درة التنزيل وغرة التأويل 279.

(3) نفسه 279.

(4) مغني اللبيب 262/2.

obeikandi.com

ذكرهما فيها قال : واختلف هنا فقيل : عاطفة خبر هو جملة على خبر مفرد ، والأصل هم سبعة وثامنهم كلبهم ، وقيل للاستئناف والوقف على سبعة[1].

ويلاحظ معنى الاستئناف أيضا من الجواب الذي ذكره الخطيب الإسكافي حين قال : « سوّى النحويون بين الجملة التي تجري صفة للنكرة أو حالا للمعرفة إذا كان فيها ذكر الأول في أن دخول الواو عليها وحذفها منها جائزان ؛ قال الزجاج : دخول الواو هاهنا وإخراجها من الأول واحد ، فإن قال السائل هل في اختصاص سبعة وعطف الجملة عليها فائدة تختصها ليست فيما قبلها.

الجواب عن ذلك من وجهين :

أحدهما أن يقال : إن الفرقة التي قالت : كانوا ثلاثة بعدها فرقتان أخريان ، وكذلك الثانية التي قالت خمسة سادسهم كلبهم ، وأما السبعة فانتهت عندها العدة وانقطعت بها القصة ، ولم يكن هناك فرقة رابعة تذكر قولا رابعا . والشيء إذا تم وانتهى كانت الجملة فيما لم ينته يتصل بالأول اتصال الشيء منه كانت الواو فيه دليلا على انقضائها والآخر في كلام العرب في حكم المنقطع منها في اللفظ إن كان اتصالها بها في المعنى كاتصال الأولين »[2].

ثم ذكر الوجه الثاني والذي بين فيه أن السبعة أصل المبالغة في العدد ولهذا خصت السموات بسبع من العدد والأرضون مثلها والكواكب والأسبوع[3].

ولقد لمح السهيلي معنى الابتداء في هذه الواو ، فقد نسب إليه أنه قال : « دخول الوو هنا إيذان بتمام كلامهم عند قولهم سبعة ، ثم ابتدأ قوله : وثامنهم كلبهم . وذلك يتضمن تقرير قوله سبعة ، كما إذا قيل لك : زيد فقيه ، فقلت :

(1) مغني اللبيب 655/2.

(2) درة التنزيل وغرة التأويل 279 وما بعدها.

(3) نفسه 280 وانظر البيان في غريب إعراب القرآن 145/2.

ونحوي . وهذا يتم إذا كان قوله : وثامنهم كلبهم ليس داخلا في المحكي بالقول »[1].

وعلى هذا الرأي الأخير تكون الواو قد أفادت صدق القائلين بأنهم سبعة وثامنهم كلبهم وتقرير أنهم سبعة وثامنهم كلبهم.

وابن خالويه ـ الذي نسب إليه القول بواو الثمانية ـ قال : « وقال آخرون من العرب : تعد من واحد إلى سبعة وتسمية عشرا ، ثم يأتون بهذه الواو فيسمونها واو العشر ليدلوا بذلك على انقضاء عدد »[2]. ثم ذكر قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[3]. وآيات أخرى.

وقال الزركشي أيضا « العرب تدخل الواو بعد السبعة إيذانا بتمام العدد »[4]. ولكن ـ كما سبق أن قلنا ـ هذه الآيات لا تصلح شاهدا على أن كلمة (ثامنهم) هي العدد الثامن في نظام العد ؛ إذ إن ما ذكره أصحاب مذهب واو الثمانية تعريفا لها أن العرب إذا عدوا قالوا : ستة سبعة وثمانية[5].

ولكن ما في هذه الآية ليس نظام عد ، وإنما هو ذكر لأقوال الناس حول عدد أهل الكهف ، ولو كان الأمر عدا لقالوا : سبعة وثمانية.

وذكر الدكتور الأهواني أن الواو قد تسقط في العد ، ولم يذكر قط أنها تثبت مع العدد الثامن[6].

وعندما ذكرنا ملمح الاستئناف في الآية لم نقصد تعين الواو للاستئناف

---

(1) من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) د . عبد الفتاح لاشين 85.

(2) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه 311.

(3) سورة الكهف 22.

(4) البرهان 428/2.

(5) درة التنزيل وغرة التأويل 280 الجنى الداني في حروف المعاني 167 مغني اللبيب 362/2.

(6) الواو بين النحاة والمناطقة د . أحمد فؤاد الأهواني 109.

فيها، وإنما هو ملمح من ملامحها ومعنى من معانيها المتعددة، فقد توجه على العطف أو على الحال، وتؤدي المعنى المطلوب أيضا، وذلك من الإعجاز القرآني.

1 ـ معنى العطف :

ويقصد هنا بمعناه العام :

وعندما يقول الخطيب الإسكافي بالعطف يحاول أن يجد مبررا له، فهو يظن أن (ثمانية) حرفا وليست اسما، فيبحث لها عن مبرر من الناحية الصرفية ـ أي : من ناحية بنية الكلمة ـ لكي يحول هذا الحرف الذي رآه إلى اسم يحق له العطف يقول : فلما دخل على ثمانية ما يخصصها بباب الاسم (أي : ياء النسب) أجريت على حكم الاسم، وأزيل عنها حكم الحروف فعطفت على ما قبلها بالوا »[1].

وقال ابن خالويه : « العرب لا تعطف الثمانية إلا بالواو »[2]. وهم في تقديرهم للواو عاطفة يقدرون هذا العطف لجملة على جملة[3].

وقد ذكر الدكتور محمد أمين الخضري هذه الآية وآراء العلماء حولها ؛ كابن جني الذي رأى أن الواو ذكرت في الموضع الثالث، وهي مرادة في الموضعين السابقين، وذكر رأي أبي حيان في أنها لعطف جملة على جملة، ثم رأي الزمخشري في أنها داخلة على جملة صفة لتأكيد لصوقها بموصوفها، ثم رأي القائلين بأنها واو الحال كالسكاكي، والقائلين بزيادتها لمعنى أو بلا معنى ثم رفض قول الزمخشري وأكد أنها عاطفة وأن قوله ورابعهم وسادسهم وصفا

(1) درة التنزيل 281.

(2) انظر : من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) د. عبد الفتاح لاشين 86.

(3) مغني اللبيب 2/ 362، الجني الداني 168.

لثلاثة وخمسة[1].

2 ـ معنى الحال :

وعندما ذكر ابن هشام معنى الحال في هذه الواو باعتبار ما تفيده الجملة التي تدخل الواو عليها ، وحاول أن يناقش إمكانية ذلك من ناحية القواعد التركيبية قال : « وعلى هذا فيقدر المبتدأ اسم إشارة ، أي : هؤلاء سبعة ، ليكون في الكلام ما يعمل في الحال ويرد ذلك أن حذف عامل الحال إذا كان معنويا ممتنع »[2].

ورأى الدكتور فخر الدين قباوة أنه « عندما تتقدم الجملة الوصفية على النكرة تصبح في محل نصب حال »[3]. واستدل بالآية السابقة ، والتي عد الزمخشري الواو فيها لتأكيد لصوق جملة الصفة بموصوفها.

المهم أن المعنى يلتقي مع التوجيهات الثلاثة ، والواو إلى جانب ذلك أفادت صدق القائلين بأنهم سبعة وثامنهم كلبهم حتى معنى المغايرة الذي في الواو يساهم في هذا الصدق ، فعندما يقول الذين رأوهم حقيقة أو الذين يعتقدون أنهم أدنى إلى الصواب : سبعة آدميين والكلب هو الثامن كأنهم في رؤيتهم لهم شاهدوا كل قسم على حدة ، فغايروا بالواو بين القسمين ، أما الذين قالوا بغير واو فإنما ذكروا أنهم جملة ثلاثة رابعهم كلهبم ، فهم غير واثقين من رؤيتهم ، فلم يفرقوا أو يغايروا بين الآدميين والكلب ، والله أعلم.

والآيات الأخرى التي استدل بها القائلون بواو الثمانية بعيدة أيضا عن هذا المعنى ولا تناسب ما ذكروه من تعريف لواو الثمانية.

(1) الواو ومواقعها في النظم القرآني 90.

(2) مغني اللبيب 2/ 362، 655.

(3) إعراب الجمل وأشباه الجمل د . فخر الدين قباوة 107.

ففي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[1]. ذكر بعض العلماء أن الواو فيها: واو الثمانية.

قال الثعالبي: «قال تعالى في ذكر جهنم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[2]. بلا واو؛ لأن أبوابها سبعة، ولما ذكر الجنة قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[3] فألحق بها الواو؛ لأن أبوابها ثمانية وواو الثمانية مستعملة في كلام العرب»[4].

وقد مر بنا في أول هذا الفصل القول بزيادة الواو في هذه الآية، وكيف أنه أمر مرفوض.

وهنا نقول: إن هذه الواو لا تصلح شاهدا على واو الثمانية حتى لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن هذه الآية منها؛ إذ ليس فيها عدد البتة، وإنما فيها ذكر الأبواب، وهي جمع لا يدل على عدد خاص، ثم الواو ليست داخلة عليه، بل على جملة هو فيها[5].

وقد رأينا ما لهذه الواو من معاني الاستمرارية والتتابع.

ومن الآيات أيضا التي قيل فيها بزيادة الواو، وقيل عنها في نفس الوقت: إنها واو الثمانية قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[6].

---

(1) سورة الزمر 71.

(2) سورة الزمر 72.

(3) سورة الزمر 71.

(4) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي 354.

(5) مغني اللبيب 363/2.

(6) سورة التوبة 12.

فإلى جانب قول بعضهم بزيادة الواو في (الناهون عن المنكر)[1]. قال آخرون بأن الواو فيها داخلة على الصفة الثامنة ، فتكون واو الثمانية إيذانا بأن السبعة عندهم عدد تام[2].

وإذا ما تأملنا الصفات المتتالية في الآية الكريمة أحسسنا بانفراد كل صفة عن الأخرى عدا صفتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهما كالصفة الواحدة ؛ لذا دخلت الواو بينهما للإشعار بالمغايرة ، يقول ابن هشام : « والظاهر أن العطف في هذا الوصف بخصوصه إنما كان من جهة أن الأمر والنهي متقابلات بخلاف بقية الصفات ، أو لأن الآمر بالمعروف ناه عن المنكر ، وهو ترك المعروف والناهي عن المنكر آمر بالمعروف ، فأشير إلى الاعتداد بكل منهما ، وأنه لا يكتفي فيه بما يحصل في ضمن الآخر »[3].

وأرى أن هذا التعليل هو الذي يتفق مع المعنى المراد من الآية ، أما القول بأن الآمر بالمعروف ضد الناهي عن المنكر[4]. فهذا غير صحيح ؛ فالآمر بالمعروف ناه عن المنكر في حال أمره بالمعروف ، فهما حقيقتان متلازمتان[5]. فكان لا بد من المغايرة بين الصفتين[6]. اللتين كالصفة الواحدة.

وهذا هو الذي يتفق مع الاستعمال القرآني للواو بين الصفات ، فقد جرى (هذا الاستعمال) على أن الصفات إذا ذكرت في مقام التعداد فتارة يتوسط بينها العاطف لتغايرها في نفسها وللإيذان بأن المراد ذكر كل صفة بمفردها ، وتارة لا يتوسطها العاطف لاتحاد موصوفها وتلازمها في نفسها ، وللإيذان بأنها في

(1) انظر الجني الداني 168.

(2) التبيان في إعراب القرآن للعكبري 2/ 662، مغني اللبيب 2/ 636: 364.

(3) مغني اللبيب 2/264.

(4) الجني الداني 168، مغني اللبيب 2/364.

(5) البرهان 2/438.

تلازمها كالصفة الواحدة وتارة يتوسط العاطف بين بعضها ويحذف مع البعض بحسب هذين المقامين، فإذا كان المقام مقام اتحاد الصفات من غير نظر إلى جمع أو إفراد حَسُن إسقاط حرف العطف، وإن أريد الجمع بين الصفات، أو التنبيه على تغايرها حَسُن إدخال حرف العطف[1].

ومثل الآية السابقة قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[2].

فقد قيل أيضا بزيادة الواو فيها[3]. ورأى بعضهم أن الواو في ﴿وَأَبْكَارًا﴾ واو الثمانية[4]. على اعتبار أن الواو فيها جاءت قبل الصفة الثامنة، ولكن يتأمل معنى هاتين الصفتين اللتين دخلت بينهما الواو وهما ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ نجد أنهما صفتان لا تجتمعان في محل واحد[5].

وهذا عكس ما في الآية السابقة (آية التوبة) فالواو أتت فيها بين ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾. أي: أتت بين الصفة الواحدة للإشعار بالمغايرة وكأنهما صفتان، ولكن الواو هنا أتت بين صفتين ولا بد من وجودها، وإلا تناقض الكلام، فالثيوبة والبكارة لا يجتمعان معا في امرأة واحدة في وقت واحد، وأيضا هذه الواو وقعت بين صفتين هما تقسيم لمن اشتمل على جميع الصفات السابقة، فلا يصح إسقاطها[6]. فالمسلمات منهن الثيب والبكر،

(1) مغني اللبيب 364/2.
(2) من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) د. عبد الفتاح لاشين 80.
(3) سورة التحريم 5.
(4) الجني الداني 168.
(5) انظر الجني الداني 167، مغني اللبيب 363/2.
(6) البرهان 2/ 364، الجني الداني 169، مغني اللبيب 364/2.
(7) مغني اللبيب 364/2.

وكذلك المؤمنات منهن الثيب والبكر وهكذا.

وهذه الآية ـ كما سبقها ـ من آيات ـ لا تصلح شاهدا على واو الثمانية التي أرادوها، إن كانت لها حقيقة، كما أنه حتى لو اتفق التعريف الذي عرفوها به مع هذه الآية فإن (أبكارا) ليست داخلة على الصفة الثامنة، وإنما هي « داخلة على الصفة التاسعة؛ إذ أول الصفات هي قوله تعالى : ﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ لا (مسلمات).

فإن أجيب بأن مسلمات وما بعده تفصيل لـ ﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ . فلهذا لم تعد قسيمة لها.

قلنا : وكذلك ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ . فلا تعدهما معهن »[1].

ودليل آخر على أن الواو هنا ليست ضمن واو الثمانية إن كانت حقيقة ـ وهو أنه قد ورد في القرآن الكريم صفات متتالية ولم تذكر الواو مع الصفة الثامنة كما يزعمون، منها قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[2].

فهذه تسعة أوصاف لم تدخل بينهما واو العطف ولا بعد السابع[3]. فالواو إن أتت بين صفتين في آخر مجموعة من الصفات فإن ذلك إنما يكون لاختصاصها مع ما قبلها باتحاد في المفهوم، أو تضاد في المعنى، انظر إلى قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4]. كيف تتابعت الصفات بغير واو.

---

(1) مغني اللبيب 364/2.

(2) سورة القلم 10: 13.

(3) من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن) 86.

(4) سورة الحشر 23.

وفي قوله تعالى: هو الأول والآخر والظاهر والباطن[1] كيف جاءت الواو بين الصفات.

د ـ الواو في خبر كان:

ومن المواضع التي قيل بزيادة الواو فيها الواو في خبر كان إذا كان الخبر جملة، قال ابن جني: «وأجاز أبو الحسن زيادة الواو في خبر كان، نحو قولهم: كان ولا مال له، أي: كان لا مال له. ووجه جوازه عنده شبه خبر كان بالحال، فجرى مجرى قولهم: جاءني ولا ثوب عليه، أي: جاءني عاريا»[2].

وقال: «وكما جاز أن يقدر خبر كان بالمفعول، فينتصب فغير منكر أيضا أن يشبه بالحال في نحو قولهم: جاء زيد وعلى يده ـ باز فتزداد الواو»[3].

وقد عد الهروي الواو في هذا التركيب زائدة لعمنى، وذكر قول الشاعر:

إذا ما سُتور البيتِ أُرخين لم يكن سراج لنا إلا ووجهُك أنور[4]

وعلق عليه بما يفيد زيادة الواو في خبر كان في (ووجهك)[5].

وقال الفراء في هذا البيت أيضا: لو طرحت هذه الواو كان صوابا[6].

وقد ناقشنا معنى الواو في هذا التركيب في الفصل الرابع (واو الحال) وبينا أن الحال لما كان فضلة والجملة قبله تامة، فإنه يأتي بفائدة زائدة، فإن حذفت

---

(1) سورة الحديد 2.

(2) الخصائص 462/2.

(3) سر صناعة الإعراب 240/2 و (مخطوط).

(4) سبق تخريجه ص 197.

(5) الأزهية للهروي 239.

(6) معاني القرآن للفراء 83/2.

تلك الفائدة الزائدة لم تشعر بنقص في المعنى ، أو على الأقل يمكن أن يكون التركيب مفيدا بدونها.

وخير كان هنا شبيه بالحال ؛ لأن كلا منهما وصف ، ولأن الحال خبر . يقول برجشتراسر : « الجملة الحالية قد تكون خبرا ، كما أن النصب في معنى الحال هو أصل النصب في خبر كان وأخواتها »[1]. والواو في خبر كان لا تعطي دلالة الحال فحسب ، وإنما تعطي فيضا من معاني التقريب والوصل مما يشعر السامع بأنه كلام آخر ، وفي ذلك تكثير للمعنى وتقوية له.

وبعضهم لم يتجرأ على القول بزيادة الواو الواقعة في خبر كان ، فاشترطوا لها أن تكون (كان) بصيغة الماضي أو المضارع ، ويسبقها نفي ويقترن خبرها بإلا[2].

ورأى النحاة أن الخبر محذوف في هذه الحالة[3]. ولحذف الخبر أيضا من الدلالات والمعاني الكثيرة ما لا يتأتى بإثباته.

وإذا ما اعتبرنا الواو هنا للحال ، فإن جملة الحال هذه تبين هيئة صاحبها مما يقوي المعنى أيضا ، فمثلا عندما يقول الشاعر :

إذا ما سُتور البيتِ أُرخين لم يكن سراج لنا إلا ووجهُك أنور[4]

فإني ـ أظن ـ أن الشاعر عندما قاله بالواو أراد إنه عندما تسدل الستائر ، كانت عنده السرج مضيئة ، ولكن وجه الممدوح كان أكثر ضياء ، وأشد نورا من هذه السرج المضيئة الموجودة إلى جانب الممدوح في البيت ، ولم لم يقله

(1) التطور النحوي للغة العربية برجشتر أسر 195.

(2) التطبيق النحوي د . عبده الراجحي ص 114 ط 1 بيروت 1983م.

(3) انظر : همع الهوامع 1/ 216، المدارس النحوية د . شوقي ضيف 102.

(4) سبق تخريجه ص 197.

بالوو لكان المعنى : إنه عندما تسدل الستائر وليست في البيت سرج مضيئة ، وإنما الذي يضيء هو وجهه فقط.

تأمل المعنى تجد أن كون وجه الممدوح أكثر ضياء مما في داخل البيت من سرج أقوى في المعنى بكثير مما لو كان وجه الممدوح هو المضيء؛ إذ تضيع بضياع الواو فرصة المقارنة بين ضياء وجه الممدوح وغيره من السرج، وإلا لما كان هناك حاجة للشاعر أن يأتي بأفعل التفضيل (أنور) في نهاية البيت . والله أعلم.

هـ ـ الواو في خبر إن :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

في جمل الخليل : معناه يصدون والواو فيه واو إقحام[2]. وقال الكوفيون أيضا بزيادة الواو في (ويصدون)[3].

وإذا ما تأملنا معنى الآية نجده ـ والله أعلم : إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لهم عذاب أليم ، وكذلك من يرد في هذا المسجد الحرام بظلم فله أيضا عذاب أليم ، فاكتفى بجواب الشرط ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جعله أيضا خبرا لـ﴿إِنَّ﴾ . وهذا ما عبر عنه الزمخشري بقوله : خبر إن محذوف دل عليه جواب الشرط[4].

---

(1) سورة الحج 25.

(2) الجمل في النحو للخليل 288.

(3) دراسات لأسلوب القرآن 449/1.

(4) تفسير الكشاف 10/2.

وقال مثل ذلك الفراء[1].

وحذف الخبر، ثم العطف عليه تكثير للمعنى بتقليل اللفظ، كما جاز هذا النوع من المشاركة بالواو، أي: عطف المضارع (يصدون) على الماضي (كفروا) لما في معنى (يصدون) من الاستمرار[2].

و ـ الواو بعد إلا :

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾[4].

قال الفراء في الآية الأولى: «لو لم يكن فيه الواو كان صوابا، وهو كما تقول في الكلام: ما رأيت أحد إلا وعليه ثياب، وإن شئت إلا عليه ثياب»[5].

وعند الزركشي الواو في هذا ضمن الحروف الزائدة للتوكيد[6].

والواو في هذه الآية ليست زائدة، فقد أفادت الوصل والتأكيد، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل الزمخشري يسميها واو لصوق الصفة بموصوفها[7]. وإن أنكر عليه ذلك ابن مالك وأبو حيان وغيرهما[8].

والواو في هذا الأسلوب من الواوت المتعددة المعاني، فهي تؤدي معنى

(1) معاني القرآن للفراء 221/2.

(2) انظر: الفصل الأول (واو العطف) عطف المضارع على الماضي ص 117.

(3) سورة الحجر 4.

(4) سورة الشعراء 208.

(5) معاني القرآن للفراء 83/2.

(6) البرهان 440/4.

(7) مغني اللبيب 364/2.

(8) انظر البرهان 444/2.

الوصف ومعنى الحال ؛ معنى الوصف لأنها داخلة على جملة صفة ، هذه شبيهه بالحال والصفة كالحال في المعنى[1]. والواو أكدت هذا الوصف أو هذه الهيئة التي يراد بالجملة بعدها وصفه أو بيان هيئته.

وقد ذكرنا في الفصل السابق ما في هذه الواو من معاني التوكيد والوصل والتقريب في مثل هذه التراكيب[2].

ز ـ الواو قبل (لكن) المخففة :

اختلف العلماء في (لكن) المخففة ، فذهب أكثر النحويين إلى أنها من حروف العطف ، ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال :

أحدهما : أنها لا تكون عاطفة إلا إذا لم تدخل عليها الواو ، وهو مذهب الفارسي وأكثر النحويين.

والثاني : أنها عاطفة ولا تستعمل إلا بالواو ، والواو مع ذلك زائدة ، وصححه ابن عصفور . قال : وعليه ينبغي أن يحمل مذهب سيبويه والأخفش ؛ لأنهما قالا : إنها عاطفة ولما مثلا للعطف بها مثلا بالواو.

والثالث : أن العطف بها وأنت مخير في الإتيان بالواو ، وهو مذهب ابن كيسان ، وذهب يونس إلى أنها حرف استدراك وليست بعاطفة والواو قبلها عاطفة لما بعدها على ما قبلها عطف مفرد على مفرد ، وقد وافق رأي يونس في التسهيل[3].

---

(1) نفسه 452/2.

(2) انظر الفصل السابق واو الحال ص 201.

(3) انظر التبصرة والتذكرة للصيمري 1/ 137، حاشية الصبان 3/ 91، الجنى الداني 587 وما بعدها ، مغني اللبيب 292/1.

obeikandl.com

الوجه الأول يسير مع ما هو معروف عند النحاة من أنه لا يجتمع حرفا عطف على معطوف واحد وهو صواب ، فعندما تفيد لكن المخففة مجرد العطف فإنها لا تحتاج إلى الواو العاطفة معها.

أما الرأي الثاني : ففيه غرابة ؛ إذ كيف تكون (لكن) عاطفة ، ثم لا تؤدي هذا المعنى إلا مع الواو ، وهب أن الواو كانت شرطا ؛ لأن تؤدي لكن معنى العطف فكيف يجعلونها زائدة.

أما الرأي الثالث : ففي ظني أن مسألة تخيير المتكلم بين أن يأتي بالواو مع (لكن) أو لا يأتي بها يشعر بزيادة الواو ، وهو أمر سبق أن قلنا : إنه لا يتفق مع المعنى.

أما قول يونس : إنها حرف استدراك والواو هي العاطفة لما بعدها على ما قبلها عطف مفرد على مفرد والذي وافقه عليه ابن مالك ـ وإن جعله عطف جملة على جملة[1] ـ فهو الذي يمكن أن يسير مع المنطق اللغوي ، إذ كيف يعمد إلى حرف له معناه في اللغة ، ثم يكون المتكلم حرًّا في أن يأتي به أو لا يأتي في استعماله ، ثم لا يتغير المعنى مع ذلك ، ويكون الكلام به كالكلام بدونه.

والواو إذا دخلت على (لكن) فلكن ليست حرف عطف[2]؛ لأن الواو حينئذ هي العاطفة ، ولما كانت (لكن) وحدها بدون الواو تفيد الاستدراك والإضراب كان من الممكن وضع (بل) مكانها ، أما إذا دخلت عليها الواو فإن معنى الإضراب يضيع منها ، وتبقى فيها دلالة الابتداء أو الاستدراك . قال الفراء : « أنت تقول : لم يقم أخوك بل أبوك ، ثم تقول : لم يقم أخوك لكن

(1) انظر الجني الداني 588، المدارس النحوية 316.
(2) الإتقان 532/2.

أبوك ، فتراهما بمعنى واحد ، والواو لا تصلح في (فإذا قالوا (ولكن) فأدخلوا الواو تباعدت من بل »[1].

وأظن أنك إذا قلت : ما جاءني زيد لكن عمر . لم تأت بالواو ؛ لأنك تتوهم مناسبة ما بين زيد وعمر في ذهن السامع.

أما إذا أتيت بالواو فقلت : ما جاءني زيد ولكن عمرو . فأنت لا تتوهم في ذهن السامع مناسبة بينهما ، فأنت تعرف أنه يستخبرك عن زيد ، ولكن في الحالة الأولى أنت تعرف أنه يستخبرك عن زيد وعمرو ، فبينت له حالهما بعكس الثانية التي استأنفت فيها بالواو جملة جديدة (ولكن عمرو) كأنك تخبره بخبر زائد ـ والله أعلم وإذا كانت هناك مناسبة في ذهن السامع بين زيد وعمرو وقلت له : جاءني زيد . وسكت فربما توهم أن عمرا أيضا جاءك لذا تقول : جاءني زيد لكن عمرا لم يجيء.

يقول رضي الدين : « فإذا قلت : جاءني زيد ، فكأنه توهم أن عمرا أيضا جاءك ؛ لما بينهما من الألف فرقعت ذلك التوهم بقولك : لكن عمرا لم يجيء »[2].

(ولكن) في القرآن الكريم :

نسب الزركشي للكسائي أنه قال : « المختار عند العرب تشديد النون إذا اقترنت (لكن) بالواو ، وتخفيفها إذا لم تقترن بها ، وعلى هذا جاء أكثر القرآن العزيز »[3].

ولكن باستقراء ما ذكره الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة من آيات (لكن)

---

(1) معاني القرآن للفراء 465/1.

(2) شرح الكافية رضي الدين 321/2.

(3) البرهان 4/ 390، وانظر : دراسات لأسلوب القرآن 584/2.

obeikandl.com

في القرآن الكريم نجد أنه لم تقع لكن المخففة العاطفة للمفرد في القرآن ، ولكن جاءت لكن المخففة المهملة من غير الواو في ست آيات ، وجاءت (ولكن) بالواو في آيات تقرب من الستين ـ ولكن المشددة لم تجيء من غير الواو وجاءت (ولكن) مع الواو في آيات تجاوزت الستين[1].

❊ ❊ ❊

(1) دراسات لأسلوب القرآن 584/2 وما بعدها.

obeikandl.com

ثالثا : القول بزيادة الواو بسبب المعنى

لما كان صحابة رسول الله ﷺ ـ لا يحبون رد السلام على أهل الكتاب ؛ لأن أهل الكتاب يقولون في سلامهم عليهم : السآم عليكم ، قال الرسول ﷺ : « **إن سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم** »[1].

وقد تكلم بعض العلماء في هذه الواو (وعليكم) إذ رأى بعضهم أن واو العطف تفيد التشريك في الحكم ، فيلزم منه أن يكون داخلا معهم من رد السلام عليهم فيما دعوا به عليه من السآمة والموت ، فقالوا : الواو زائدة ، كما زيدت في قول الشاعر :

فَلَمّا أَجَزنا سَاحَةَ الحَيّ وَانْتَحى بِنا بَطنُ خَبتٍ ذي قِفَافٍ عَقَنقَلِ[2]

أي : لما أجزنا انتحى.

وقال بعضهم : هي واو استئناف ، كأنه قال : والسآم عليكم ، وقال بعضهم : هي على بابها من العطف ، ولا يضرنا ذلك ، لأنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا ، كما روى عن الرسول ﷺ : أنه سلم ناس من يهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السآم عليك يا أبا القاسم فقال : « **وعليكم** » . فقالت عائشة ـ وغضبت ـ : ألم تسمع ما قالوا ، قال : « **بلى قد سمعت فرددت عليهم ، وإنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا** »[3].

وقد علق القرطبي على القول السابق : ورواية الواو أحسن معنى وإثباتها

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي باب رد السلام 144/13 (وفي شرح النووي كان ابن عيينة يرويه بغير راو (145/13).

(2) سبق تخريجه 214.

(3) صحيح مسلم باب رد السلام.

أصح رواية وأشهر[1].

والواو فيما سبق ليست زائدة ، وإنما هي تقرير للجملة الأولى وزيادة الثانية عليها ، ثم رد الجميع عليهم ، فكأن هذه الواو تقرر لهم وعليهم ما قالوه من السآمة والملل.

قال ابن قيم الجوزية : « الواو في مثل هذا تقتضي تقرير الجملة الأولى وزيادة (الجملة) الثانية عليها ، كما إذا قلت : زيد كاتب ، فقال المخاطب : وشاعر . فإنه يقتضى إثبات الكتابة له وزيادة وصفه بالشعر »[2].

كما أن الواو لا تفيد التشريك في الحكم في كل أنواع المشاركة ، كما رأينا في الفصل الأول.

ففي قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[3].

ليس معنى كون الواو في ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ للمشاركة أنه أمكن أو يمكن لبعض الناس أن يؤذوا الله سبحانه وتعالى بأي حال من الأحوال.

وفي قوله تعالى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[4].

رأى بعض المفسرين أن : شهد الله من باب الاستعارة ؛ لأن ما نصبه الله تعالى من الدلائل في الآفاق وفي الأنفس على توحيده ، وما أوحاه إلى أنبيائه يشبه شهادة الشاهد بالشيء وشهدت الملائكة بإقرارهم وأولوا العلم بإيمانهم ،

(1) تفسير القرطبي 292/17 وما بعدها طبعة دار الكتب المصرية 1948.

(2) بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية 176/2 دار الكتب العلمية بيروت د . ت.

(3) سورة الأحزاب 57.

(4) سورة آل عمران 18.

وهذا هو الصواب.

أما بعضهم فقد أخذ معنى العطف على أساس التشريك المطلق، فرأوا أن الشهادة هنا بمعنى واحد[1].

(1) بلاغة العطف في القرآن الكريم د. عفت الشرقاوي ص 60 وما بعدها.

obeikandl.com